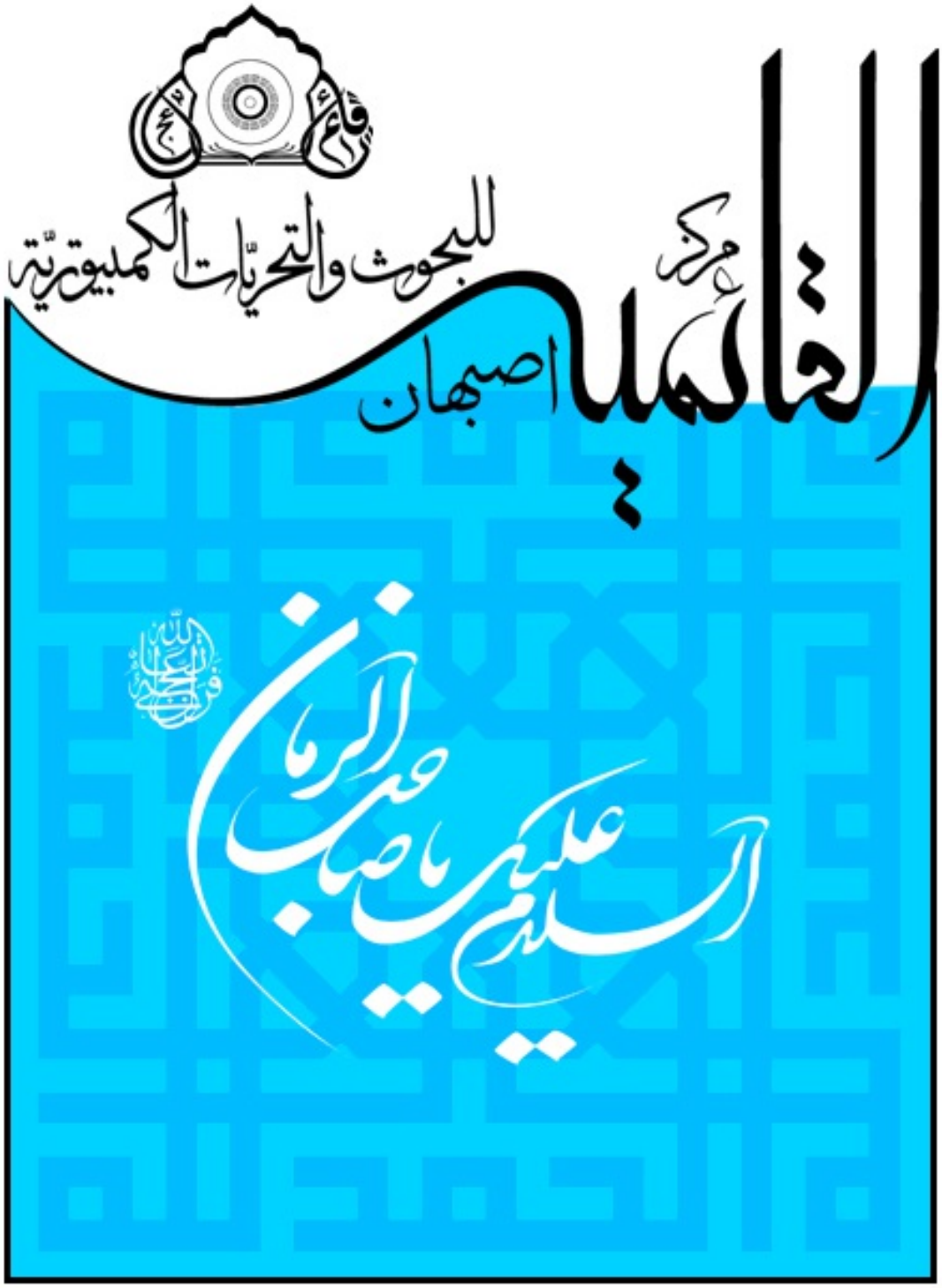

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

رحلة

الفرنسي تافرنييه إلى العراق

في القرن السابع عشر

ترجمة : دكور كيس عواد - بشير فرنسيس

الدار العربية للموسوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

رحلة الفرنسى تافرنييهٔ الى العراق

كاتب:

ژان باتيست تاورنيه

نشرت فى الطباعة:

الدار العربيهٔ للموسوعات

رقمى الناشر:

مركز القائميهٔ باصفهان للتحريات الكمبيوتريهٔ

الفهرس

الفهرس ----- ۵
رحلة الفرنسی تافرنییة الی العراق ----- ۸
اشارة ----- ۸
المقدمة ----- ۸
۱- سبب الترجمة: ----- ۸
۲- النسخة التی استندنا إلیها: ----- ۸
۳- ماذا أخذنا، و ماذا ترکنا من الرحلة؟ ----- ۸
۴- طریقة المؤلف فی التدوین: ----- ۸
۵- تعلیقاتنا: ----- ۸
۶- تصحیف الأعلام فی الأصل: ----- ۸
۷- الفهارس: ----- ۸
۸- کلمة شکر: ----- ۸
جان بابتیست تافرنییه ----- ۸
الفصل الثالث (من الکتاب الثانی من الرحلة) الکلام علی الطرق العدیدة من حلب الی اصفهان بوجه عام و طریق البادیة بوجه خاص ----- ۹
الفصل الرابع (من الکتاب الثانی من الرحلة الطریق بین حلب و أصفهان، عبر ما بین النهرین و بلاد آشور، و هو الطریق الذی سلکته فی رحلتی الثالثة الی ا
الفصل الخامس (من الکتاب الثانی من الرحلة) نسخة الکلام علی الطریق من نینوی إلی أصفهان ----- ۱۵
الفصل السادس (من الکتاب الثانی من الرحلة) ----- ۱۵
الفصل السابع (من الکتاب الثانی من الرحلة) مواصلة الطریق الذی سلکه المؤلف فی رحلته الرابعة فی آسیا، و خاصة سفره فی دجلة من نینوی إلی بابل (ب
اشارة ----- ۱۶
صورة مدینة بغداد یستغرق الطواف حول بغداد زهاء ساعتین ----- ۱۸
الفصل الثامن اکمال الطریق من بغداد إلی البصرة و الکلام علی دیانة الصابئة و هم نصاری یوحنا ----- ۱۸
الفصل الرابع (من الکتاب الثالث من الرحلة) الطریق الآخر من حلب الی توریز [تبریز] و هو المار بالجزیرة و غیرها من البلدان ----- ۲۱
الفصل الخامس (من الکتاب الثالث من الرحلة) الطریق من حلب الی اصفهان، مارا بالبادیة الصغیرة و کنکور ----- ۲۱

اشارة ----- ۲۱
و الآن، لنأخذ الطريق ذاته من حلب إلى أصفهان، و هذا مسلكه: ----- ۲۲
الملاحق ----- ۲۳
الملحق رقم (۱) (راجع الصفحة ۱۹، الحاشية ۱) ----- ۲۳
الملحق رقم (۲) (راجع الصفحة ۲۰، الحاشية ۲) ----- ۲۳
الملحق رقم (۳) (راجع الصفحة ۲۲، الحاشية ۲) ----- ۲۳
الملحق رقم (۴) (راجع الصفحة ۲۹ الحاشية ۲) ----- ۲۳
الملحق رقم (۵) (راجع الصفحة ۳۳ الحاشية ۲) ----- ۲۴
الملحق رقم (۶) (راجع الصفحة ۳۷ الحاشية ۱) ----- ۲۴
الملحق رقم (۷) (راجع الصفحة ۴۰ الحاشية ۱) ----- ۲۴
الملحق رقم (۸) (راجع الصفحة ۴۱ الحاشية ۱ و ۴) ----- ۲۴
اشارة ----- ۲۴
*** سور الموصل: ----- ۲۵
الملحق رقم (۹) (راجع الصفحة ۴۳، الحاشية ۱) ----- ۲۵
الملحق رقم (۱۰) (راجع الصفحة ۴۳ الحاشية ۲) ----- ۲۵
الملحق رقم (۱۱) (راجع الصفحة ۴۵+ ۴۶، الحاشية ۳+ ۱) ----- ۲۵
الملحق رقم (۱۲) (راجع الصفحة ۵۳، الحاشية ۱) ----- ۲۵
الملحق رقم (۱۳) (راجع الصفحة ۵۳، الحاشية ۳) ----- ۲۵
الملحق رقم (۱۴) (راجع الصفحة ۵۵، الحاشية ۳) ----- ۲۶
الملحق رقم (۱۵) (راجع الصفحة ۵۶ الحاشية ۱) ----- ۲۶
الملحق رقم (۱۶) (راجع الصفحة ۵۶، الحاشية ۲ و ۳ و صفحة ۵۷ الحاشية ۱) ----- ۲۶
الملحق رقم (۱۷) (راجع الصفحة ۵۸، الحاشية ۳) ----- ۲۶
الملحق رقم (۱۸) (راجع الصفحة ۵۸، الحاشية ۴) ----- ۲۷
الملحق رقم (۱۹) (راجع الصفحة ۶۳، الحاشية ۲) ----- ۲۷

عقرقوف: ----- ۲۷
الملحق رقم (۲۰) (راجع الصفحة ۶۹ الحاشیة ۲) ----- ۲۷
الملحق رقم (۲۱) (راجع الصفحة ۷۰ الحاشیة ۱) ----- ۲۷
الملحق رقم (۲۲) (راجع الصفحة ۷۱ الحاشیة ۳) ----- ۲۸
الملحق رقم (۲۳) (راجع الصفحة ۷۳ الحاشیة ۳) ----- ۲۸
الملحق رقم (۲۴) (راجع الصفحة ۷۵ الحاشیة ۴) ----- ۲۸
الملحق رقم (۲۵) (راجع الصفحة ۷۷، الحاشیة ۲) ----- ۲۸
الملحق رقم (۲۶) (راجع الصفحة ۸۶، الحاشیة ۱) ----- ۲۸
اشارة ----- ۲۸
العمادیة فی العصور الإسلامیة: ----- ۲۹
الملحق رقم (۲۷) (راجع الصفحة ۹۱، الحاشیة ۲) ----- ۲۹
الملحق رقم (۲۸) (راجع الصفحة ۹۱، الحاشیة ۳) ----- ۳۱
الفهارس ----- ۳۱
۱- فهرس الأعلام ----- ۳۱
۲- فهرس الأمکنة و البقاع ----- ۳۲
۳- فهرس الشعوب و القبائل و الأدیان ----- ۳۵
۴- فهرس المراجع ----- ۳۵
فهرس المحتویات ----- ۳۶
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۳۶

رحلة الفرنسى تافرنييهٔ الى العراق

اشارهٔ

نام کتاب: رحلة الفرنسى تافرنيهٔ إلى العراق / تعريب كوركيس عواد- بشير فرنسيس
نويسنده: تاورنيه، ژان باتيست
تاريخ وفات مؤلف: ۱۶۸۹ م
موضوع: سفرنامه
زبان: عربى
تعداد جلد: ۱
ناشر: الدار العربية للموسوعات
مكان چاپ: بيروت
سال چاپ: ۱۴۲۷ ه. ق

المقدمهٔ

۱- سبب الترجمهٔ:

أقدمنا على ترجمهٔ ما ورد عن العراق فى «رحلة تافرنييه» و نحن على يقين من فراغ الخزانهٔ العربية من مصادر وافية بتاريخ العراق فى أدواره المختلفهٔ، و خصوصا ما كان يتعلق منها بأخبار هذه البلاد فى العصور الأخيرهٔ، كالعصر الذى زار فيه تافرنييه بلاد العراق، و وصف أحوالها بما يراه القارئ فى تضاعيف هذا الكتاب.

۲- النسخهٔ التى استندنا إليها:

دوّن تافرنييه حديث رحلاته باللغهٔ الفرنسية. و قد طبعت مدوناته سنهٔ ۱۶۷۶ م، ثم جدد طبعها سنهٔ ۱۷۱۳ م.
و هذه الرحلة نقلت بكاملها إلى الإنكليزية، و طبعت فى لندن سنهٔ ۱۶۷۸ م.
و لقد كان اعتمادنا فى نقل كتابنا، على هذه الترجمهٔ الإنكليزية فى بادئ الأمر، ثم راجعنا الترجمهٔ على الأصل الفرنسى بطبعته المجددهٔ.

۳- ماذا أخذنا، و ماذا تركنا من الرحلة؟

قلّ بين الرحّالين الأقدمين من أبناء الغرب، من جاب أصقاع الأرض بنطاق واسع، كالذى فعله تافرنييه فى رحلاته الست التى زار فيها أغلب الأقطار الأوروبية، و شاهد أيضا بلاد الشرقين الأدنى و الأوسط، بل بلغ به المطاف إلى جزر الهند الشرقية و وصل بلاد اليابان، و وصف كل ما مر به بما أتيح له.
رحلة الفرنسى تافرنيهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۶
و لما كانت غايتنا خدمهٔ بلادنا العراقيهٔ، عمدنا إلى ما كتبه هذا الرحالهٔ عن العراق، فنقلناه كاملا إلى العربيهٔ، دون ما تغيير أو تحوير. بل تجاوزنا هذا الحد فى بعض الاحيان، لاعتقادنا أن الموضوع لا- يستقيم إلا- بوصل أوله بآخره. من ذلك أننا عندما نقلنا كلام المؤلف فى وصف الطريق بين حلب و أصفهان مثلا، اضطررنا إلى أن نساير المؤلف فى خطواته من مدينهٔ حلب حتى بلوغه مدينهٔ اصفهان، أى أننا نقلنا جانبا من وصف المؤلف لشطر من بلاد سوريهٔ و شطر من بلاد إيران. و لو لم نفعل ذلك لجاء وصفه للبلاد العراقية التى مر بها مبتورا ناقصا.
و تمسكا بالأصل، فقد احتفظنا بعناوين فصول الرحلة و أرقامها فيرى القارئ، أن أول بحث فى هذا الكتاب عنوانه «الفصل الثالث من الكتاب الثانى من الرحلة» لأن ما قبل ذلك لا يدخل فى نطاق بحثنا المتعلق بالعراق.

۴- طريقة المؤلف فى التدوين:

و المؤلف، فى حديث رحلاته، يكاد يتبع أسلوب «اليوميات»، فهو يدون ما يريد تدوينه بحسب تعاقب زيارته للمواطن التى يتكلم عليها. و لقد وجدناه فى غير مكان من رحلته يعيد ما سبق أن قاله فأبقينا على ذلك كله محافظهٔ على الأصل.

۵- تعليقاتنا:

بعد أن فرغنا من نقل كلام المؤلف، وجدنا فيه أمورا عديدهٔ تفتقر إلى تعليقات تنير السبيل للقارئ فى معرفهٔ ما يطالعه بالوجه الصحيح. و فى الواقع إن بين أقوال المؤلف- و هو غريب عن هذه الديار- ما يعتريه الوهم أو الغموض أو الالتباس. فرأينا فى السكوت على ذلك تقصيرا. لذلك عمدنا إلى تقويم أود ذلك بالتعليقات: نفسر هذا، و نوضح ذاك، و نتسع فى الآخر، حتى قام من مجموع تعليقاتنا مواد كثيرهٔ، أغنت مادهٔ الكتاب، و رفعت من مستواه التاريخى.
رحلة الفرنسى تافرنيهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۷
و قد وجدنا بعض التعليقات طويلا، لا تتسع لها حواشى الصحائف، ففصلناها و جعلناها «ملاحق» متسلسلة أدرجناها بآخر الكتاب.

۶- تصحيف الأعلام فى الأصل:

و لا نريد ان نختم كلمتنا هذه دون الاشارهٔ إلى أمر ذى بال جابهنا أثناء النقل، ذلك أن المؤلف، فى إيراده أسماء الأمكنهٔ، كثيرا ما يذكرها بصورهٔ مصحفهٔ أو مغلوطهٔ. فكان ذلك من المشاكل العسيرهٔ التى حاولنا تذليلها جهد المستطاع.
إن مثل هذه الأسماء، أوردناها بحروفها الفرنجية ليرى القارئ مبلغ ابتعادها عن التسمية المعروفهٔ بها.
و الأمثلهٔ على ذلك عديدهٔ، نذكر منها:Odoine و هو يريد به النهر «العظيم». وDar al- sani يريد بها «دار السلام» وConaguy و هو يقصد «خانقين»، وCasered و مراده بها «قزلرباط»، إلى كثير غيرها.
و لنا أن نقول، إن بعضا من الأسماء، لم نتمكن- مع الأسف- من التوصل إلى حقيقهٔ أمره، فأبقينا اسمه بالافرنجية كما ورد فى الرحلة ذاتها، و جعلنا مكان اسمه بالعربية خاليا، إذ لعل هناك من يستطيع ان يجد اسمه الحقيقى.

۷- الفهارس:

و قد لا حظنا، بعد انتهاء عملنا من الكتاب، أن لا غنى عن وضع «فهارس» محكمهٔ مفصلهٔ تيسر الرجوع إلى النص، و ترشد المطالع إلى مواطن ما يرغب فيه. فكان من ذلك هذه الفهارس المختلفهٔ التى يجدها القارئ فى آخر الكتاب.

۸- كلمهٔ شكر:

و لا بد لنا، أن نتقدم بالشكر إلى كل من آزرنا من الباحثين الأفاضل فى تحقيق عملنا بالوجه الأكمل، و قد أشرنا إلى اسم كل منهم فى موطنه من الكتاب.
كوركيس عواد/ بشير فرنسيس
رحلة الفرنسى تافرنيهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۹

جان باپتيست تافرنييه

JEAN BAPTISTE TAVERNIER

(۱۶۰۵- ۱۶۸۹ م) روى تافرنييه عن نفسه، فى مقدمهٔ كتابه «الرحلات الست»، قائلا:
«لو جاز لى أن أعد أثر التربية ولادهٔ ثانية، لقلت واثقا بأنى جئت إلى هذا العالم و فى رغبهٔ فى الأسفار. فالمحاورات اليومية التى كانت تدور بين طائفهٔ من العلماء و والدى فى المواضيع الجغرافية التى كان له فيها القدح المعلى، كنت أصغى إليها بكليتى بالرغم من حداثهٔ سنى. فحثت فىّ الشوق لمشاهدهٔ بعض هاتيك الأقطار التى كانت تمثل أمامى بخرائط لم يكن يهون علىّ رفع نظرى عنها. و هكذا ما إن بلغت الثانية و العشرين من عمرى، حتى كنت زرت أجمل بقاع أوروبا: فقد شاهدت فرنسا و إنكلترا و البلاد المنخفضهٔ و ألمانيا و سويسرا و بولندا و المجر و إيطاليا. و صرت أتكلم بأكثر اللغات لزوما و ذيوعا.
«و كانت فى طليعة البلاد التى قصدتها إنكلترا، فى عهد الملك جيمس.

و منها عبرت إلى بلاد الفلندرز، لأرى انتورب (أنفرس) موطن والدى الأصلى.

و منها ذهبت إلى البلاد المنخفضة و هناك ازداد ميلى إلى الأسفار نموّا و قوة لما كان يحتشد فى تلك الأرجاء من الغرباء الذين لقيتهم فى أمستردام، و كانوا قد أتوها من كل حدب و صوب».

*** ولد جان باتيست تافرنييه فى باريس سنة ۱۶۰۵ م. و كان أبوه كبريل قد هاجر إليها من انتورب مع عمه فى نهاية القرن السادس عشر، و كان كبريل هذا من مشاهير الجغرافيين و النقاشين.

رحلة الفرنسى تافرنيهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۱۰

و كان جان فى الخامسة عشرة من عمره، قد رحل إلى جهات أوروبا الغربية، و خدم أهم حكام أوروبا و دخل قصورهم. و حارب الترك لما وصلوا حدود بولند. و كان فى إحدى سفراته الأوروبية تعرف براهبين فرنسيين و هما دى شاب(M .De chapes) و دى سان ليباو(M .De St Liebau) كانا يقصدان السفر إلى القسطنطينية و منها إلى فلسطين. فاقترحا عليه مرافقتهما، فلقى الاقتراح هوى من نفسه. و توجهوا جميعا إلى تلك البلدان. و قضوا ذلك الشتاء فى القسطنطينية. و انفصل تافرنييه عن الراهبين اللذين تابعا سفرهما إلى فلسطين، فمكث هناك أحد عشر شهرا، ثم التحق بقافلة و ذهب إلى طوقات و ارضروم و اريفان و دخل بلاد فارس، و بلغ فى رحلته الأولى هذه اصفهان. ثم قفل راجعا بطريق بغداد فحلب و الإسكندرونة، فمالطة و إيطاليا حتى بلغ باريس سنة ۱۶۳۳ م.

و فى أيلول سنة ۱۶۳۸ م شرع برحلته الثانية التى دامت حتى سنة ۱۶۴۲ م. فسافر بطريق حلب إلى فارس، و منها إلى الهند حتى أغرا(Agra) ، و توغل فى أصقاع الهند حتى بلدة غلكندة. و فى الهند زار بلاط كبير المغول، و شاهد مناجم الماس التى لم يرها أوروبى من قبله. فساقه ذلك إلى الاتجار مع هذه البلاد، خاصة الجواهر الكريمة و غيرها من المواد النفيسة التى تعاطاها مع أعاظم أمراء الشرق.

و أعقبت هاتين الرحلتين، أربع رحلات أخرى. ففى رحلته الثالثة (۱۶۴۳- ۱۶۴۹ م) وصل فى مسيره جزيرة جاوة، و عاد من طريق رأس الرجاء الصالح.

و دامت رحلته الرابعة من سنة ۱۶۵۲ إلى ۱۶۵۶ م.

و الخامسة من ۱۶۵۷ إلى ۱۶۶۲ م.

و السادسة من ۱۶۶۳ إلى ۱۶۶۸ م.

و قد زار تافرنييه فى هذه الرحلات الواسعة النطاق، ممالك آسيا الجنوبية، و جزر الهند الشرقية، و اليابان، و جنوبى إفريقيا و عاد من رحلته الأخيرة و قد أصبح فى عداد الأغنياء. و كان قد دار فى خلده فى وقت ما من

رحلة الفرنسى تافرنيهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۱۱

سنة ۱۶۴۸ تأسيس شركة للاتجار مع الشرق.

و فى سنة ۱۶۶۹ م. منحه لويس الرابع عشر، لقب «نبيل». و اشترى فى سنة ۱۶۷۰ م بارونية اوبون(Aubone) بالقرب من جنيف فى سويسرا. و لكنه عاد و انهمك ثانية فى الأعمال التجارية.

و مهما يكن من أمر، فإن أواخر سنى حياته غامضة. فقد تركت باريس إلى سويسرا فى سنة ۱۶۸۷ م. و فى سنة ۱۶۸۹ م عبر إلى كوبنهاغن قاصدا بلاد فارس عن طريق روسيا، غير أنه و افاه الأجل المحتوم فى تلك السنة و هو فى موسكو.

و خلاصة القول، أن تافرنييه عاش أربعا و ثمانين سنة، قضى منها فى أسفاره العديدة زهاء ست و أربعين سنة. و قل بين الرحالين من دامت رحلاته مثل هذا الأمد الطويل.

*** و الذى خلّد ذكر تافرنييه، هو تآليفه فى وصف رحلاته الكثيرة فى مختلف الأصقاع. و قد أفرغ تافرنييه وصف بعض رحلاته فى كتاب عنوانه:

Nouvelle Relation de Linterieur du Serail du Grand Seigneur.

و قد طبع فى باريس سنة ۱۶۷۵ م. ثم جدد طبعه سنة ۱۷۱۳ م. و هذا الكتاب يستند إلى زيارتين للقسطنطينية فى رحلته الأولى و رحلته السادسة.

و أشهر من ذلك حديث رحلاته الست، و عنوانه:

Les Six Voyages de j.- B, Tavernier

و قد طبع فى باريس سنة ۱۶۷۶ م بمجلدين. ثم أعيد طبعه سنة ۱۷۱۳ م.

و قد نقل هذه الرحلات جميعا، ج. فيليبس(j .Phillips) إلى الإنكليزية و طبعها فى لندن سنة ۱۶۷۸ بعنوان:

east- indies. the six voyages of j.- b. tavernier through turky into persia and the

و قد ظهرت، سنة ۱۸۸۹ ترجمة إنكليزية بقلم(V .Ball) لرحلات تافرنييه فى بلدان الهند.

رحلة الفرنسى تافرنيهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۱۲

و نقل كمبل طمسن رحلات تافرنييه فى بلاد ما بين النهرين و طبعها بعنوان:

(R. Camphell Thompson: Tavernier`s travels in Mesopotamia(London, ۰۱۹۱

و نقل نظم الدولة أبو تراب نورى، رحلة تافرنييه بكاملها إلى الفارسية، و طبعها فى طهران سنة ۱۳۳۱ ه ش فى ۱۰۳۵ صفحة و قد أطلعنا على نسخة منها الأستاذ عباس العزاوى.

المراجع عن ترجمة حياته:

The Six Voyages of J.- B. Tavernier(London ۸۷۶۱). charles joret: jean- baptiste tavernier - d`apres des Documents

.

.) nouveaux(۶۸۸۱)- larousse du xxe siecle(art. tavernier

(encyclopaedia britannica (art .tavernier-.

رحلة الفرنسى تافرنيهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۱۳

الفصل الثالث (من الكتاب الثانى من الرحلة) الكلام على الطرق العديدة من حلب الى اصفهان بوجه عام و طريق البادية بوجه خاص

بين حلب و أصفهان، تمتدّ خمسة طرق عامة غير الطريقين الآخرين اللذين و صفتهما سابقا، و هما المارات بالأناضول ، فتكون الطرق المؤدية إلى بلاد فارس سبعة، تتشعب من القسطنطينية و أزمير أو حلب.

و أول الطرق الخمسة، البادئة من حلب، يقع فى يسار المتجه إلى الشمال الشرقى، مارا بديار بكر و تبريز.

و ثانيها: الطريق الذى يتجه إلى الشرق رأسا بمحاذاة بلاد ما بين النهرين، مارا بالموصل و همذان.

و الثالث: إلى يمين الذاهب إلى الجنوب الشرقى، مارا ببغداد و كنكور(Kengavar) .

و الرابع: هو أكثر الطرق الخمسة اتجاها نحو الجنوب، يجتاز بادية صغيرة و يمر بعانة و بغداد و البصرة.

و الطريق الخامس: يخترق البادية الكبيرة، و هو لا يسلك دائما، بل يطرق مرة واحدة فى السنة عندما يقطعه تجار تركيا و مصر لشراء الإبل.

و سأسعى إلى وصف كل من هذه الطرق فى فصول مختلفة. و أول ما أبدأ به منها ما كان يقطع البادية الكبرى.

رحلة الفرنسى تافرنيهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۱۵

إن القوافل التى تقصد البصرة سالكة هذا الطريق، لا تتحرك حتى موسم هطول الأمطار، لئلا يعوزها الماء، و هى فى قفر البادية. و يندر أن يمسك المطر حتى كانون الأول من كل سنة. إن القافلة التى رافقتها، تحركت فى يوم عيد الميلاد، و كانت تتألف من أربعمائة رجل بين سادة و خدم، و نحو ستمائة بعير.

و كان الكروان باشى وحده ممتطيا صهوة فرسه، متقدما القافلة لارتياد أماكن المياه و اختيار الأماكن الصالحة للمبيت.

أما أنا فأعترف بأننى أرحت نفسى بركوب حصانى الذى احتفظت به طوال إقامتى فى حلب. و لا يخفى أن حرية الاحتفاظ بالخيل لا يسمح بها للافرنج إلا فى القسطنطينية و إزمير و حلب. أما فى دمشق و صيدا و القاهرة، فلا يجيزون ذلك لغير القناصل. و لسائر الناس امتلاك أو استكراء الحمير دون غيرها. و هى تتيسر فى الدروب العامة دائما.

و فى اليوم الثانى، رحلنا فجرا، و عند الظهر بلغنا مكانا فيه خمس آبار، بين البئر و الأخرى خمسمائة خطوة، و ماؤها عذب جدا، فملأنا قربنا منها، و فى نحو الساعة الرابعة من بعد الظهر نزلنا فى بقعة لا ماء فيها.

و فى اليوم الذى يليه، صادفنا قبيل الظهر بئرين كان ماؤهما مجّا لم يشربه غير الجمال. و عندهما بتنا ليلتنا أيضا.

لقد مر على سفرنا الآن يومان فى البادية، التى سأصفها وصفا موجزا:

إنك بعد أن تبتعد فرسخين أو ثلاثة فراسخ من حلب تدخل البادية فلا يقع نظرك على غير الخيم المنصوبة بدلا من المساكن

المشيدة. و تمتد هذه البادية

رحلة الفرنسى تافرنيية إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۱۶

صوب الجنوب الشرقى، بمحاذاة الفرات حتى تبلغ البصرة و ساحل خليج فارس، ثم تنتهى جنوبا بسلسلة الجبال الحاجزة بين البلاد العربية الصخرية(Arabia Petrea) و بلاد العرب السعيدة. و تكاد تكون هذه البوادى خالية من كل شىء إلا من الرمال. و الأرض فى بعض الأماكن أهش مما فى أخرى، بحيث يصعب السير فيها إلا عقب سقوط الأمطار التى تصلب تلك الرمال و تكتلها. و يندر أن تمر فى هذه البوادى بتل أو بواد. فإن صادفت شيئا منها كان ذلك دليلا على وجود الماء هناك و بعض الأحطاب التى تفى بالطبخ، و ذلك لتعذّر وجود الخشب فى أنحاء البادية. و غاية ما يطاق حمله فى حلب على ظهور الجمال من حطب و فحم ينفد فى نحو ثمانية أو عشرة أيام. و لهذا لا ترى بين الستمائة بعير التى تخرق البادية أكثر من خمسين محملة بالبضائع المؤلفة من الأقمشة الخشنة و قليل من المواد الحديدية، و بالأخص نسيج قالقوط الأسود و الأزرق الذى يستعمله العرب دون تقصيره . و أما سائر الجمال فتحمل من الطعام ما يكفى هذا الحشد من المسافرين طوال أيام سفرهم العديدة فى مثل هذه البلاقع المترامية الأطراف.

فى الخمسة عشر يوما الأولى من سفرنا، لم نر الماء إلا مرة فى كل يومين، و أحيانا فى كل ثلاثة أيام. و فى اليوم العشرين بعد خروجنا من حلب، نزلت القافلة مكانا فيه بئران ماؤهما طيب جدا. و قد كان كلّ منا مبتهجا إذ أتيح له غسل ملاحفه، و قد رأى الكروان باشى أن نمكث هنا يومين أو ثلاثة أيام، بيد أن الأخبار التى وردتنا أدّت إلى الرجوع عما رأى. و ذلك أننا ما كدنا

رحلة الفرنسى تافرنيية إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۱۷

نتناول عشاءنا، حتى رأينا ساعيا معه ثلاثة أعراب راكبين كلهم بغالا أرسلوا يحملون الأخبار إلى حلب و غيرها من مدن الامبراطورية بالاستيلاء على بغداد. فوقفوا عند البئرين لإرواء دوابهم. فتقدم إليهم الكروان باشى و غيره من الرجال البارزين فى القافلة ببعض الفواكه المجففة و الرمان. و قد أفادنا هؤلاء السعاة بأن الجمال التى حملت بأمتعة السلطان و حاشيته قد نالها التعب.

و من المؤكد أن ضباطه سيضعون أيديهم على جمالنا إذا ما التقوا بنا، و نصحونا بألا ندنو من عانة، و إلا أوقفنا أميرها.

و بناء على ما أبلغونا به، تحركنا فى الساعة الثالثة من بعد منتصف الليل، و ظللنا متجهين جنوبا، حتى صرنا فى وسط البادية. و بعد ثمانية أيام، حللنا فى بقعة ذات ثلاث آبار و ثلاثة أو أربعة بيوت. فمكثنا هناك يومين كاملين للتمتع بهذا المنهل العذب. و ما كدنا نأخذ طريقنا ثانية، حتى جاءنا ثلاثون فارسا مسلحا قادمين من لدن أحد الأمراء ليبلغوا الكروان باشى بوجوب إيقاف قافلته. فلبثنا عند ذاك أياما ثلاثة منتظرين قدوم هذا الأمير بفارغ الصبر. فلما حلّ بيننا، أهدى إليه الكروان باشى قطعة حريرية، و نصف قطعة من قماش قرمزى، و قدرين كبيرتين من النحاس. و لكن مع أن هذه القدور مما لا يمكن أن يرفضها أمير عربى، لخلو مطبخه من مثيلها، لم تبد على محياه علائم الرضا بهذه الهدية، بل طلب منا ما يزيد على أربعمائة كراون . لقد جهدنا سبعة أو ثمانية أيام متمسكين بنقودنا. و لكن عبثا كان ذلك، فإننا اضطررنا أخيرا إلى جمع هذا المبلغ بتقسيطه بيننا، كل بما فى طاقته، فلما دفع إليه، قدم للكروان باشى البلاو و العسل و التمر. و عند مبارحته المكان أعطى القافلة خمس أو ست أغنام مطبوخة.

و بعد أن فارقنا هذا الأمير العربى بثلاثة ايام، مررنا ببئرين، كان بالقرب

رحلة الفرنسى تافرنيية إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۱۸

منهما أبنية قديمة منهارة من الآجر. لقد كان ماء هاتين البئرين شديد المرارة حتى أن الجمال عافته، و مع ذلك ملأنا قربنا منه، ظانين أننا ستزيل عنه مرارته بغليه. و لكن خاب تقديرنا لأن الأمر كان على العكس من ذلك.

و من هاتين البئرين اللتين لا يرجى من مائهما خير، تمادى بنا السير ستة أيام دون أن نلقى بماء. فإذا أضفنا إلى ذلك الأيام الثلاثة السابقة، كان مجموع ما مرّ على الجمال من الأيام التى لم تذق خلالها الماء تسعة. و فى نهاية هذه الأيام التسعة سرنا فى أرض كثيرة التلال امتدادها ثلاثة فراسخ.

و عند حضيض هذه التلال رأينا ثلاث برك و لما كانت الجمال تتنسم رائحة الماء من مسافة نصف فرسخ، أخذت تسارع فى سيرها إليها. و ما إن انتهت إلى البرك حتى تزاحمت عليها و تدافعت، فتكدر الماء من جراء ذلك و تلوث.

و لهذا قرّ رأى الكروان باشى على المكوث فى هذا الموطن يومين أو ثلاثة أيام، ريثما يصفو الماء. و قد انتهزنا تلك الفرصة لطبخ الرز لأن هناك أحراشا كثيرة نامية حول البرك. و زاد فى ابتهاج الناس هناك ان الفرصة و اتتهم لصنع الخبز، و قد رأيتهم يخبزونه بالوجه التالى: يحفرون أولا حفرة مستديرة فى الأرض، عمقها نصف قدم، و محيطها قدمان أو ثلاث، و يملأونها بالحطب، ثم يوقدون هذا الحطب و يغطون الحفرة بالطابوق أو الأحجار، إلى أن تحمر، و كانوا حينذاك يحضرون العجين فوق سفرة و هى عبارة عن قطعة مستديرة من النحاس، يتخذون منها فى سائر الأوقات مائدة للطعام. ثم يرفعون الرماد و الطابوق و بعد أن ينظفوا الحفرة جيدا يضعون عجينهم فيها، ثم يغطون الحفرة ثانية بالطابوق أو الأحجار الحارة، و يدعونها على هذه الحال حتى الصباح. إن الخبز الذى يخبز بهذا الوجه، لا يزيد ثخنه على أصبعين و كبره بقدر الكمك العادى، و هو إلى ذلك لذيذ الطعم جدا.

و فى أثناء مكوث القافلة عند البرك الثلاث، قضيت أوقاتى بصيد الأرانب و الحجلان التى تكثر فى هذه البقاع. و فى الليلة التى سبقت مغادرتنا المكان، ملأنا قربنا ثانية، و كان الماء قد صفا و طاب و هذا الماء يتجمع من الأمطار التى تهطل على هذه المنخفضات. و لكنه يجف فى فصل الصيف.

رحلة الفرنسى تافرنيية إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۱۹

و الآن بعد ما رأى الكروان باشى أننا سرنا تسعة أيام دون أن نجد فى أثنائها ماء، رغب عن السفر جنوبا، و صمم على أن يأخذ طريقه نحو الغرب، فإن لم يصادف ماء فى خلال يومين أو ثلاثة، فإنه يغير طريقه لا محالة إلى الشمال الشرقى أى الشرق الشتائى، رغبة منه فى الوصول إلى نهر الفرات.

و بعد يومين من تغييرنا الطريق، اجتزنا و اديا بين تلين صغيرين، صادفنا فيه بركة ماء، كان على مقربة منها أعرابيان مع كل منهما امرأته و أطفاله، و هما يرعيان قطيعين من الماعز و الغنم، و أخبرانا أنهما ذاهبان إلى الموصل. و قد أرشدانا إلى أحسن السبل التى تتوفر فيها المياه. و فى الواقع، إننا من ذلك المكان حتى البصرة، لم نكن نسير ثلاثة أيام حتى نجد ما يكفينا من الماء.

و بعد خمسة أيام من تركنا هذين الأعرابيين، اكتشفنا قصرا كبيرا مشيدا كله بالآجر . و فى هذا احتمال على أن البقعة كانت تزرع فى الماضى و أن الآجر قد حرق بالتبن. إن فى هذا القصر ثلاث رحاب واسعة، فى كل منها أبنية لطيفة ذات طابقين من الأقواس الواحد يعلو الآخر. و مع أن هذه البناية كانت لا تزال قائمة، فإننا لم نجد من يسكن فيها. هذا و إن الأعراب الذين يجهلون الآثار القديمة لم يكن بوسعهم أن يخبرونا عمن بناها. و أمام باب هذا القصر بركة لها قناة قاعها مرصوف بالطابوق و كذلك عقاداتها التى تستوى و الأرض.

و يعتقد الأعراب أن هذه القناة كانت تأتى بالماء من الفرات، و لكن هذا بعيد الاحتمال بالنظر إلى أن الفرات يبعد عن هذه البقعة نيفا و عشرين فرسخا.

و من ذلك القصر، و اصلنا سيرنا نحو الشمال الشرقى. و بعد أن تمادى بنا السير خمسة أيام انتهينا إلى بلدة صغيرة كانت تدعى سابقا الكوفة و الآن تعرف بمشهد على . حيث إن عليا صهر النبى محمد صلى اللّه عليه و سلم يرقد هناك فى جامع فسيح. و يرى حول الضريح أربعة شمعدانات مضاءة، و قناديل فوق الرأس مدلاة من السقف.

رحلة الفرنسى تافرنيية إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۲۰

و مع أن الفرس يكرمون عليا تكريما بالغا، فهم قلّما يحجون إلى ضريحه، و السبب فى ذلك هو أن الطريق التى يسلكونها قاصدين زيارة الضريح، لا بد أن تمر ببغداد، و هى تحت حكم السلطان العثمانى. و على كل حاج حينذاك أن يدفع رسما قدره ثمانية قروش، و هو أمر لم يكن ملك فارس ليرتاح إليه. إن الشاه عباس كان يرى من المهانة أن تدفع رعيته مالا إلى التركّ، فعمد إلى صرفهم عن هذه الزيارة بغيرها، ذلك أنه عمر مزارا فى «مشهد» على الطريق من تبريز إلى قندهار. ثم إن الملوك الذين خلفوه كانوا على غراره فى عدم السماح لرعاياهم بزيارة الإمام علىّ، إذ يعتبرون دفع الجزية للسلطان امتهانا لكرامتهم، و هذا هو السبب فى أن جامع الكوفة لم يعد يتقدم إليه الفرس بالنذور. و عدا عن القناديل و الشمعدانات التى تضاء ليل نهار، فإن فيه اثنين من القراء يتلوان القرآن. و ليس فى هذه البلدة غير ثلاث أو أربع آبار ذات ماء آسن، و قناة جافة يقولون إن الشاه عباس مدها ليجلب فيها ماء الفرات إلى البلدة لأجل الحجاج و الزوار. أما الطعام فلم نجد منه فى هذه البلدة غير التمر و العنب و اللوز، و هذه يبيعونها بأسعار عالية. و عندما يؤمها الزوار، و قليل ما هم، يوزع الشيخ عليهم عند احتياجهم إلى الطعام الرز المطبوخ بالماء و الملح و شىء من الدهن يصب فوقه. و نظرا لعدم وجود مرعى للمواشى، فلا يتوفر عندهم الطعام.

و على مسيرة يومين من مدينة علي، التقينا فى الساعة التاسعة صباحا، بشابين من أسياد العرب، يلقبان بسلطان، و كانا أخوين، أحدهما فى سن السابعة عشرة، و الآخر فى الثالثة عشرة. و لما نصبنا خيامنا نصبا خيامهما بجوارنا، و كانت من قماش قرمزى لطيف جدا، و كانت بين هذه الخيم خيمة مغطاة بالقطيفة الارجوانية، حاشيتها موشاة بشريط حريرى جميل. و ما كاد السيدان يستقران فى خيامهما حتى ذهبنا أنا و الكروان باشى لرؤيتهما. و لما

رحلة الفرنسى تافرنيية إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۲۱

علما أن بين رجال القافلة إفرنجا، سألانى عما إذا كان لدينا شىء من الطرائف لنبيعها لهما. و لكننى لما أجبتهما بأن ليس هناك ما

يستحق شراؤه لهما، ارتابا فى صحة قولى، و أمرا الكروان باشى بأن يتحرى ما فى حقائبنا بحضورهما و فى أثناء التحرى، كان أحد الرؤساء المرافقين للأميرين لا يدع أعرابيا يدنو منها. و قد كان فى رفقتنا رسام شاب، وجد فى حقيبته طائفة من الصور، بعضها يمثل مناظر أرضية، و بعضها صور أناس، و غيرها صور غوان مرسومة إلى الخصر. فاختار السيدان الشابان عشرين من صور الغوانى لا غير. فأردت أن أهديها إليهما، لكنهما أفهمانى أنهما يعرفان كيف يدفعان عما أخذا، و خاصة السيد الأصغر، الذى كانت تبدو عليه أمارات الجود و الكرم. فإننى أفرحته بما لا يمكن وصفه، ذلك أن أسنانه كانت متسخة جدا، فطلبت من الجراح الذى كان يرافقنى طوال أيام السفر أن ينظفها له، ففعل ذلك بوجه أرضى الأمير الشاب و أدخل السرور إلى نفسه. فكان منهما أن أرسلا إلىّ و إلى حاشيتى أحسن ما لديهما من طعام، و أهدى الكروان باشى إليهما نصف قطعة من القماش القرمزى و قطعتين من القماش الموشى بالذهب و الفضة. و لما تأهبنا للرحيل، أعطانى السلطان الشاب اثنتى عشرة دوكاة(Ducat) قيمة الصور. و بعث إلى الكروان باشى و إلىّ بقوصرتين من التمر، و كان أجود ما وقع إلينا منذ أن فارقنا حلب.

و حوالى منتصف الليل، تحرك الأميران، و اتجها شمالا نحو الفرات.

فتحركنا وراءهما متجهين شمالا إلى النهر نفسه. و بعد مسيرة أربعة أيام، التقينا بأمير ذى نفوذ عظيم فى بلاد العرب، كان آتيا من الجنوب و متجها إلى الشمال، و عليه أن يجتاز الطريق الذى سكلناه. كان هذا الأمير فى حدود

الخمسين من عمره، حسن القوام، لطيف المظهر، و لم يكن معه أكثر من ألفى حصان. أما الثلاثون ألفا الأخرى التى سمعنا بها، فقد عبرت منذ بضعة أيام.

و كان وراء الألفى حصان خمسون جملا تحمل نساءه. و كانت كجاواتهن مغطاة بقماش قرمزى، موشاة حاشيته بالحرير. و فى وسط هذه الجمال ستة يكتنفها الخصيان، و كانت سجف الكجاوات من الحرير و الفضة و الذهب.

و قد سمحوا لنا بالسير معهم، دون أن يطلبوا منا التراجع كما هى العادة فى الجهات الأخرى من تركيا، عندما يكون فى القافلة نساء. و قد حطوا الرحال على بعد ربع فرسخ منا حيث أردنا النزول لوجود بركتين أو ثلاث هناك، فحرمونا من مائها. إن هذا الأمير العربى، يمتلك عددا كبيرا من أجمل الخيول المطهمة و أجودها، و عنده غيرها مما هو غير مسرج و لا ملجم، و مع ذلك فالراكبون يستطيعون توجيهها بعصا قصيرة إلى حيث شاءوا، و إيقافها و هى فى أسرع عدوها بمسك أعرافها. و عنده بعض الجياد ذات الأثمان الغالية.

و مما يجدر التنويه به أن هذه الجياد لم يرها أحد منا.

و لما كان الكروان باشى يعتقد أنه لا يستطيع التخلص من مثل هذا الأمير العظيم بلا مقابل، فإنه وجد عند تجار القافلة سرجا غاليا مع لجامه و ركابه، و قد صنعت من الفضة و جملت بها، و كنانة مطرزة مملوءة سهاما، و ترسا، و تبلغ قيمة الجميع نحوا من ألف و مائة، أو ألف و مائتى ليرة. ثم أضاف إليها الكروان باشى من عنده قطعة من النسيج القرمزى، و أربع قطع من نسيج الذهب و الفضة، و ست قطع من نسيج الفضة و الحرير، و جعل من جميعها هدية للأمير. غير أن الأمير رفضها برمتها، و طلب استبدال «الطويلات» التى كانت معه، بمائتى ألف قرش، و هى لعمرى مبادلة مجحفة بحق التجار، فأثارت بينهم نزاعا شديدا. و بعد أخذ ورد، و لإدراكنا أن بمقدور الأمير أن يعطل قافلتنا عن السير و يهلكنا جوعا، أقدمنا على جمعها منا، فجمعت، و نال

الهدية التى ربما لم يكن بإمكانه أن ينالها بغير هذا الوجه. و فى خلال اليومين اللذين قضيناهما فى وزن النقود، كان الأمير يرسل الطعام إلى الكروان باشى.

و عند رحيلنا بعث إلينا باثنتى عشرة قوصرة تمر، و أربعة من صغار الإبل يسوى الواحد منها نحوا من أربعين كرانا.

و بعد يومين من سيرنا، صادفنا شيخا يعتبر بين الأعراب حكما فيصلا، كان قاصدا مكة، و قد قطع شطرا من البلاد العربية السعيدة. و كان معه حاشية على عشرة أو اثنى عشر جملا. فمكث طوال الليل معنا. و كان أحد خدمه أصيب قبل يومين بجراح خطيرة من بندقية، فضمده جراحى و أعطاه مرهما و مطهرا. فشكرنا على ذلك غاية الشكر، و أرسل إلى الغداء و هو عبارة عن صحن كبير من البلاو. و فى اليوم الثانى بعث إلينا بشاة مطبوخة. و أهداه الكروان باشى ذراعين من القماش القرمزى.

و بعد ذلك لم نمرّ فى طريقنا بما يستحق الذكر. إلا أننا فى اليوم التالى صادفنا أميرا آخر، له من العمر نحو من خمس و عشرين سنة، كان آتيا من الفرات و وجهته البلاد العربية السعيدة. و كان برفقته نحو خمسمائة حصان و ثلاثمائة جمل تحمل نساءه. و قد أرسل يستعلم عما تكون قافلتنا؟

و عند ما علم أن فيها بضعة إفرنج، أحدهم جراح، أرسل ثانية إلى الكروان باشى يطلب إليه أن يتبعه بقافلته إلى المكان الذى أزمع أن ينصب خيامه فيه، و لم يكن بعيدا عن الطريق. و لم نكن نظن أننا سنذهب قصيا فى ذلك النهار. إلا أنه قادنا إلى أطيب بقاع البادية، فنصبت خيمة الأمير، و استدعى جراحى، فرأيت أن أرافقه لأعلم ما يريده منه. فألفينا على ذراعه اليسرى قوباء فيها قوبة خبيثة جدا، بقدر قطعة كراون، و هى تزول ثم تعاوده فى أوقات معلومة من السنة. فسأل الجراح عما إذا كان يستطيع أن يشفيه منها.

فأجاب الجراح بأن الشفاء ليس مستحيلا، إن أمكن الحصول على العقاقير

اللازمة. فهى إن وجدت شفاه بها شفاء تاما. فأراد الأمير أخذ الجراح معه، و أعطى له خمسمائة كراون لشراء العقاقير. و لكننى أفهمته أن الدواء لا يكلف مثل هذا المبلغ، و أن الجراح إذا عثر على الأدوية المطلوبة، فأنا مستعد لدفع ثمنها من عندى. فاقتنع الأمير بهذا الكلام، و بعث بأحد كبار رجاله إلى البصرة ليعود مع الجراح بعد أن يشترى الأدوية، و لبث الأمير أياما ثلاثة ينتظر قدومه. لكننا بعد أن تظاهرنا بالتفتيش عما نطلب من أقصى المدينة إلى أقصاها (إذ كنا نبحث عن هذه الادوية فى المحلات التى نعرف أنها خالية منها) أعدنا رسول الأمير إليه، معتذرين عن عدم إيجاد العقاقير المطلوبة، و من ثم عن عدم عودة الجراح إليه لزوال الفائدة من حضوره.

و هى الوسيلة الوحيدة الناجحة التى فكرنا أنها تساعدنا على الإفلات منه بمهارة.

و فى الأيام التى أعقبت مفارقتنا الأمير العربى، كنا فى أرض خالية من السكان. فى اليوم التالى و هو اليوم الخامس و الستون، و الأخير من بقائنا فى البادية، صادفنا خرائب بعض البيوت على جانبى الطريق، مما جعلنا نفترض بأن مدينة كبيرة كانت تقوم سابقا فى هذه البقعة

و أخيرا بلغنا البصرة. و سأصفها فى موطن آخر من حديث رحلتى.

و فى أثناء مكوثى فى البصرة، الذى دام نحو ثلاثة أسابيع وصل إليها سفير من عظيم المغول، كان قد ذهب من القسطنطينية إلى بغداد لتهنئة السلطان على فتحه تلك المدينة و أخذها فى مثل هذا الوقت الوجيز. و قد أهدى الامبراطور له ثلاثة من جياد الخيل، و ساعة صغيرة عليها ملبسة بالماس و الياقوت. إلا أن السفير لعدم معرفته ماهية هذه الآلة الصغيرة، ملأها من الجهة المعاكسة فكسر لولبها. و لما جاء إلى البصرة استدعى الرهبان

الكرمليين و طلب منهم اصلاح ساعته، لأنه كان يخشى فقدان رأسه إن عاد سيده و لم يره الساعة. و قد كنت مقيما فى دار الكرمليين. فهؤلاء لما لم يعرفوا سبيل اصلاحها، طلبوا منى إبداء مهارتى فى ذلك. فتناولت الساعة و وضعت لها لولبا جديدا، فصلح حالها. و لما رأى السفير ما أنا عليه، بالرغم من أن ما صنعته كان شيئا تافها، عرض على ما لا يمكن وصفه من الخدمة و حسن الالتفات. و على ذلك فإن الرهبان الكرمليين و الأغسطينيين، رجوا منى أن أطلب من السفير، نيابة عنهم، أن يستحصل لهم من السلطان كتاب أمان يضمن لهم فيه، سلامة بيوتهم و كنائسهم فى حالة استيلائه على البصرة.

فقمت بذلك، و نلت بوساطته الأمان التام من الوزير الأول. و لكن الرهبان لم يحتاجوا إليه، لأن التركه لم يقوموا بأية محاولة لأخذ البصرة، لسماعهم أن الفرس قادمون إليها، هذا إلى أن موسم الأمطار كان على و شك الحلول، مما لا يتيح لجيش ما البقاء فى ساحات القتال. و لو أن بغداد ذاتها صمدت ثمانية أيام أخرى، لاضطر السلطان إلى رفع الحصار و الجلاء عنها.

و بما أننى تطرقت إلى ذكر الجياد العربية، على أن أقول إن منها ما هو غال بل غال جدا. فقد دفع سفير المغول للواحد منها ۳۰۰۰ و ۴۰۰۰ و ۶۰۰۰ كراون و لغيرها دفع ۸۰۰۰ كراون. و لكن الحصان لم يكن ليباع بأقل من عشرة آلاف. و لهذا عدل عن شرائه. فلما آب إلى وطنه فى بلاد الهند، و قدّم لعظيم المغول تلك الخيول التى حملها معه، و كانت جيادا جميلة جدا، أخبر سيده كيف أنه دفع ۸۰۰۰ كراون عن حصان أجمل من أى واحد أتى به، بيد أن

صاحبه لما لم يرض أن يبيعه بأقل من عشرة آلاف، تركه. فغضب الملك لتوقف سفيره عن شراء الحصان بمثل هذا المبلغ الزهيد، بينما كان الشراء لواحد من أعاظم ملوك الدنيا، و لا مه على ذل نفسه، و أقصاه عن حضرته بنفيه مدى الحياة إلى مقاطعة نائية عن البلاط ثم كتب الملك إلى الإنكليز ليشتروا له الحصان، ففعلوا ذلك و جلبوه إلى سورات بالهند حيث دفع لهم الحاكم ثمنه.

غير أن الحصان ما لبث أن مات فى رامبور.

و لن أنسى قط أنه حين كنت فى البصرة، حلقت فى سمائها، فى خلال مرتين، سدود من الجراد كانت تبدو من بعيد كأنها السحب،

فأظلمت الأرض به. إن الجراد يمر بالبصرة أربع أو خمس مرات فى السنة، تحمله الرياح من البادية التى فيها مولده و هلاكه. و لو لم تدفعه الريح بهذا الوجه لما ترك نبتا يعيش على الأرض فى بعض أقسام كلدية. يطير هذا الجراد فوق بلدان خليج فارس. و لما تأتى المراكب إلى هرمز (Ormuz) فى أى وقت من السنة، يجد ركابها دكاكين صغيرة يبيع فيها الناس الجراد المقلى بالدهن لمن يحب هذا اللون من الطعام. و قد حدانى حب الاستطلاع ذات مرة، أن فتحت بطن جرادة طولها ستة إنشات: فوجدت داخلها سبع عشرة جرادة صغيرة تتحرك.

و من هذا يمكن أن يحزر بسهولة كيف تتكاثر تلك الحشرات، خاصة فى البلدان الحارة.

و هناك عدة سفن و قوارب تمخر من هرمز، لتجهيز جانبى خليج فارس بالحاجات الضرورية، حيث الناس هناك لا يأكلون الخبز و لا الرز. و قد اتفقت مع صاحب أحد هذه القوارب، و كان الاتفاق على أن لا يزيد ما يحمله القارب على نصف و سقة، لأنهم على العموم يحملونها بما هو فوق طاقتها. و فى الأحوال الجوية الرديئة يضطرون إلى أن يرموا بنصف الحمل إنقاذا للبقية.

رحلة الفرنسى تافرنيهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۲۷

و من البصرة إلى فم نهر الفرات عشرون فرسخا من الماء العذب. لقد انتظرنا مواتاة الرياح لنا سبعة أيام كاملة، لنتمكن من الإقلاع بسفينتنا. ثم وصلنا إلى بندر ريك (Bander -Ric) بثمان و أربعين ساعة. هذا هو المكان الذى يجب أن تنزل فيه إن قصدت بلاد فارس، ما لم تكن مستهدفا هرمز.

يتألف بندرريك من خمسة أو ستة أكواخ صغيرة لصيادى السمك، و هذه الأكواخ عبارة عن أغصان مصفوفة أحدها يقابل الآخر، و مسقفة بمثلها، حيث يسكنون هم و عائلاتهم. و يؤتى إلى بندر ريك بالتمر محملا على الحمير. و قد اضطررت أن أكترى واحدا منها لعدم تيسر الخيل هناك.

و قضينا ستة أيام فى الطريق من بندر ريك إلى كازرون(Cazeron) ، و هى بقعة جبلية كثيرة الغابات. و عليك أن تقيم فى الحقول لعدم وجود الخانات فى الطريق. إن هذا الطريق مؤنس فى بعض أقسامه، فهو يمر بضفاف نهيرات عديدة و خلال أحراش مخضرة تكثر فيها السلاحف التى قتلنا منها كثيرا فأكلنا بعضه مع البلاه و بدلا من الدجاج، و شوينا بعضه الآخر مستخدمين العصى مكان السفافيد.

و كازرون بلدة صغيرة حقيرة البناء، فيها خان واحد لا يفى براحة الغرباء النازلين فيه.

و من كازرون إلى شيراز مسيرة خمسة أيام. و الطريق تمر بأرض جبلية كثيرة الحزون، لم يكن سلوكها ممكنا لو لا همة على قولى خان حاكم شيراز، الذى شق فيها طرقا لم تكن من قبل، و ربط الجبال بالقناطر، و لو لاها لتعذر اجتيازها. و فى وسط الجبال فجوة عريضة يمتد منها سهل محيطه نحو عشرين فرسخا، لا يسكنه غير اليهود، و هؤلاء القوم يشتغلون بحياكة الحرير. و فى هذه الجبال تقع أنظاركم على خيم ينزل فيها الكلدانيون الذين ينتجعون تلك

رحلة الفرنسى تافرنيهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۲۸

البقاع صيفا طلبا للهواء البارد و التماسا للمرعى الوفير.

و لما انتهيت إلى شيراز، اتخذت حصانا لركوبى من هناك إلى أصفهان التى لم أبلغها إلا بتسعة أيام. الاراضى التى تمر بها بين هاتين المدينتين، سهول و جبال تجد فيها البور كما ترى فيها المزروع. فإذا سرت ثلاثة أيام عن شيراز جابهتك جبل مائين(Mayen) و مائين بليدة ليس فيها ما يستحق الذكر.

و بعد مسيرة يومين منها تدخل فى سهول ولاية كشكى زرد(Cuscuzar) التى فيها يحفظ ملك فارس خيوله للسباق. و فى اليوم التالى وصلت إلى يزدى خست(Yesdecas) التى يصنع فيها أجود الخبز الايرانى و هى بليدة تقوم على نشز من الارض، فيها خان لطيف جدا. و عند قاعدة النشز نهير ينساب فى واد ينمو فيه القمح الجيد الذى يصنع خبزا و يصدر من هذه المدينة.

و قد قطعت المسافة من يزدى خست إلى اصفهان بثلاثة أيام إن هذا الطريق كان أول طريق سلكته من حلب إلى أصفهان.

رحلة الفرنسى تافرنيهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۲۹

الفصل الرابع (من الكتاب الثانى من الرحلة الطريق بين حلب و أصفهان، عبر ما بين النهرين و بلاد آشور، و هو الطريق الذى سلكته فى رحلتى الثالثة الى الهند و جزرها

فى رحلتى الثالثة إلى الهند و جزرها، قمت من باريس فى السادس من كانون الأول سنة ۱۶۴۳، و ذهبت إلى ليغرن (Ligorn) فوجدت الاسطول الهولندى على أهبة الاقلاع إلى بلاد المشرق(Levant) . و يبدو على السفينة التى أقلتنى أنها أشبه بمركب حربى منها بمركب تجارى. ثم عبرنا مضيق مسينة، و رسونا أمام المدينة أربعة أيام. و بعد أن اجتزنا بحر المورة، دخلنا الأرخبيل حيث تفرق الأسطول، كل سفينة بحسب ما تبتغيه من اتجاه.

فأبحرت سفينتنا رأسا إلى مينا الإسكندرونة. بالرغم من أن الريح كان مؤاتيا لسير السفينة، فقد صدتنا سفينة قرصان مدة من الزمن و أعاقت سيرنا، عندما كنا على بعد من ساحل جزيرة كاندى الشرقى. و لقد حاولنا التخلص منها، و لكن القرصان كانت لهم اليد العليا. فأهبنا لمناجزتهم. ثم أطلق القرصان علينا من سفينتهم ثلاث طلقات مرقت من فوق مركبنا دون أن تصيبه بأذى، فرددنا عليها بمثلها من سفينتنا، فأصابت أولى طلقاتنا صارى المقدمة، و الثالثة أصابت مرقب السفينة، و قتلت من رجاله كما لاحظنا ذلك. و فى تلك الهنيهة صرخ أحد بحارتنا من أعلى رأس الصارى قائلا: سفينة من الجنوب! فولى عنا القرصان ليتعقبوها، و سررنا نحن بالنجاة منهم. ثم تابعنا سفرنا إلى الاسكندرونة فوصلنا إليها مغتبطين. و منها أخذت حصانا إلى حلب كما مر وصفه.

رحلة الفرنسى تافرنيهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۳۰

و فى السادس من آذار، غادرت حلب برفقة اثنين من الرهبان الكبوشيين، و هما الأب روفائيل و الأب ايفس(Yves) و بندقى اسمه دومنيكو دى سنتيس.(Dominico de Santis)

و من حلب إلى البيرة (Bir) القائمة عند معبر الفرات، مسيرة أربعة أيام للراكب، و البقعة كثيرة الأحراش و فيرة الزروع.

و فى السابع من آذار، أعاقنا المطر الغزير عن بلوغ المحطة المعتادة، فلم نصل إلى تل باشر ، البلدة التى تلى البيرة، و لما لم نجد خانا نبيت فيه، اضطررنا إلى الوقوف على بعد فرسخ منها فى هذا الجانب و اللجوء إلى كهف يسع ثلاثمائة حصان، و هو كهف يلجأ إليه غالبا البدو أو رعاة البقر الذين يعيشون عيشة الأعراب، إما فى كهوف أو فى أكواخ حقيرة. و كان النقر قد تمادى فى هذا الكهف، فكثرت فيه التجاويف التى صارت تبدو غرفا صغيرة.

أما رئيس قافلتنا (الكروان باشى) فإنه حذرنا من وجود كمين فى ذلك الكهف سبقنا لاستطلاع المكان، فوجده خاليا خاويا، فاسترحنا هناك تلك الليلة. و فى الليلة الثانية، نزلنا فى ميزار(Mezara) و هى قرية صغيرة لا خان فيها. و لم نمر فى طريقنا إليها بما يستحق الذكر. إلا أن قرب الكهف، فى الجبل، ماء طيبا قراحا. و كان فوق الجبل سابقا حصن لا تزال بعض أخربته بادية للعيان.

و تشرف قمته بامتداد البصر على منظر جميل أخاذ. فهناك حيث توجهت السهول اليانعة، و الأراضى الخصبة التى تسقيها جداول مختلفة يأتى ماؤها من الفرات. كما أن كل النهيرات التى تعبرها من حلب إلى البيرة مستمدة من الفرات ذاته.

و فى اليوم الرابع من مغادرتنا حلب، و هو اليوم التاسع من آذار، بلغنا

رحلة الفرنسى تافرنيهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۳۱

ضفاف الفرات، فأبصرنا البيرة فى الجانب الآخر من النهر. و لما كان نقل جميع الأحمال إلى الضفة الثانية من النهر فى يوم واحد غير ممكن فى بعض الاحوال، فقد أقيم هناك خان كبير مريح يحمى التجار من البدو، و إلا ساورهم القلق و صاروا عرضة لشر اللصوص. فلو لا هذا الخان لما حوفظ عليهم و لا على بضائعهم بهذا الوجه المأمون.

و يعبر نهر الفرات بمعبر كبير من القوارب، و عند بلوغ ضفته الثانية، يهرع ضابط الجمرك و رجاله إلى تسجيل البضائع، و تدوين اسماء التجار مالكيها. أما قافلتنا، فلم تدخل المدينة المشيدة بهيئة مدرج نصف دائرى، عند سفح جبل و عر، بل سلكت طريقا رديئا و وجهتها خان يعلو قمة الجبل.

و بالقرب من هذا الخان طائفة من الغرف المنقورة فى جوف الصخر، يلجأ إليها من لا يتسع الخان له. و عند المساء جاءنا ضابط الجمرك يتقاضى رسومه، و هى قرشان عن كل حمل من البضاعة إن كانت محملة على حصان أو بغل، ذلك بغض النظر عن أن ما تحمله البغال يفوق ما تحمله الخيل كثرة، و يتقاضى نصف قرش عن كل دابة تحمل المتاع. أما الخيل و البغال المسرجة فلا رسم يؤخذ عليها.

و البيرة، او بيره جك(Berygeon) كما يسميها أهلها، من بلدان الشرق الكبيرة، تقع على حافة تل، و فى أسفل المدينة من جهة النهر حصن يبدو أنه قديم، طوله نصف طول المدينة، و لكنه ضيق، و ليس فيه من التحصينات غير برج مطل على النهر، ذى ثمانية أو تسعة مدافع حقيرة. و فى أعلى المدينة حصن آخر يقيم فيه حاكم المدينة و هو «آغا» و يلقبه بعضهم ب «باشا». و بإمرته مائتا إنكشارى و أربعمائة سپاهى . إن المدينة مبنية بناء سقيما على غرار

رحلة الفرنسى تافرنيهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۳۲

معظم بلدان الدولة العثمانية. غير أن الطعام فيها متوافر قد تناهت كثرته و خرجت عن الحد المعتاد، فخبزها نفيس، و خمرها فاخرة، و

فيها أطيب الأسماك.

و فى العاشر من آذار، بعد أن سرنا إحدى عشرة ساعة فى أول أراضى ما بين النهرين الواقعة بين دجلة و الفرات، و هى التى يسمونها الآن ديار بكر(Diar Bekr) ، وصلنا مساء إلى شرملى و هى بلدة حسنة جدا، ذات خان جميل و حمامات فى أطرافها. و على ضعف رمية بندقية منها، ينهض جبل فرد، كأنه مونت مارتر قرب باريس. و حوله السهول، و فوق قمته قلعة يحميها مائتا سباهى، لأن الأعراب يعبرون الفرات أحيانا و يغيرون على ذلك الجانب. ففى سنة ۱۶۳۱ حينما كان الوزير الأول عائدا من بغداد، و قد فقد معظم جيش السلطان دون التمكن من أخذ المدينة، فإنه خوفا من أن يفقد رأسه إن رجع إلى القسطنطينية بهذه الخيبة، و لعلمه بما له من سامى المنزلة فى قلوب جنوده، صمم على الإقامة فوق هذا الجبل، و تشييد قلعة تحميه مما قد يتهدده. و لا شك أنه لو أفلح فى تحقيق خطته لاستطاع أن يسود على كل ما بين النهرين، و لخلق للسلطان قلقا زائدا. و ذلك أنك إذا قصدت حلب، سواء أكان قيامك من تبريز، أم من الموصل، أم من بغداد- هذا ما لم يكن سفرك بطريق البادية- لا بد أن تمر بشرملى للتزود بالطعام و الماء، و شرملى هذه تشرف عليها القلعة المذكورة. و لقد سار العمل فى القلعة سيرا حثيثا، فأقيم حصن مكين، و استطاع الوزير أن يسوّر الجبل، بما فيه الخان، بسور ثخنه عشرون قدما، و ارتفاعه ثلاث قامات. و فيما كان منهمكا فى عمله، خنقه بعض من ركن إليهم أشد الركون، ممن استمالهم السلطان إليه، بالوعد أو بالوعيد.

و فى الحادى عشر من آذار، بعد مسيرة عشر ساعات، انتهينا إلى اورفا، و فيها تمكث القوافل عادة ثمانية أو عشرة ايام، لأن فيها مؤجرى الخيل و البغال، و لهم على الدوام أشغال و علاقات بهذا المكان. و حللنا فى خان يبعد ۳۰۰ أو ۴۰۰ خطوة عن شمالى المدينة. و عندما يزدحم هذا الخان بالمسافرين، يلجأ من لا يتسع الخان لهم إلى كهوف قريبة منه. و هى أماكن

رحلة الفرنسى تافرنيهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۳۳

جيدة حسنة. و هنا يأتى جابى الرسوم فيحصى الأحمال دون فتحها، فالذين يحملون خرجة عليهم أن يدفعوا عنها رسم نصف حمل، و إلا يفتح الخرج ليرى إن كان فيه سلعة تجارية ما. و على التاجر حينذاك أن يدفع الرسم كاملا.

أورفا عاصمة ما بين النهرين، و هى كما يقولون مبنية فى البقعة التى عاش فيها إبراهيم الخليل، حيث كانت تقوم أدسا(Edessa) القديمة. و يروى أهالى تلك الجهات، أن بلاط الملك أبجر(Abagarus) كان فى هذه المدينة، و لا تزال ترى فيها خرائب حصن، منه- كما يروون أيضا- أرسل هذا الملك إلى المسيح طالبا صورته، و واهبا إياه مملكته و شعبه للدفاع عنه ضد اليهود، الذين عادوه على ما انتهى إليه . و تروى تواريخ الأرمن أن أبجر كان من أبناء جلدتهم و إنهم، فى أيام حكمه، صاروا نصارى و تعمدوا على يد واحد من التلاميذ، بعث به المسيح إلى ذلك الملك بعد قيامته. و لم يخرب هذا الحصن خرابا نهائيا، إذ لا تزال فيه قاعة فسيحة و ثلاث أو أربع غرف جميلة فيها معالم فسيفساء. لقد حثنى الشوق على رؤية أجمل ما فى المدينة، فأخذونى إلى فسقية كبيرة كأنها بركة سمك، و هى تتبع من تحت أسس الجامع الكبير الذى كان بنى إكراما لإبراهيم الخليل. و يقول نصارى تلك الأنحاء، إن فى هذا المكان صلى إبراهيم قبل أن يضحى بابنه إسحاق، و إن ينبوعين من الماء نبعا من البقعتين اللتين وضع عليهما ركبتيه، و هذان الينبوعان يملآن الفسقية الكبيرة التى أشرت إليها. إن هذه الفسقية مبلطة بالصخر، وزاخرة بالسمك فإذا رميت إليه قطعة صغيرة من الخبز، تبعك حيثما تنقلت فى ضفاف البركة. و ليس من يتعرض لهذا السمك، فإن الترك يكرّمونه جدا و يسمونه سمك إبراهيم. و يفيض الماء من هذه الفسقية فيسقى المدينة كلها. و ما حول الفسقية مغطى بسجاجيد جميلة، بعض نحو عشرين خطوة. أما ماء هذه الفسقية فينصب فى الأخير فى نهر محاذ للسور. إن الكهوف التى تتفجر منها عينا الماء، لا يسمح لك بالذهاب إليها ما لم تخلع نعليك. و أنه لفضل عميم

رحلة الفرنسى تافرنيهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۳۴

على النصرانى إن سمح له بمشاهدتها. و قد كلفنى هذا الفضل ستة قروش.

و رأيت أيضا كنيسة للأرمن يقولون إن تحت بابها، عاش القديس الكسيس سبع عشرة سنة عيشته النسكية. و يقوم هذا الباب فى وسط رحبة الكنيسة، فى أعالى المدينة. أما كنيستهم الكبرى، فعلى مسيرة ربع ساعة من المدينة، بناها القديس أفرام المدفون فيها . و الدير قائم بكامله، يحيط به سور لطيف.

و لقد شاهدت فى الكنيسة نسخة كبيرة من الكتاب المقدس مكتوبة بالحروف الأرمنية. و ضريح القديس أفرام فى مغارة عند قاعدة الجبل، يتصل به مصلى فيه ثلاثة أو أربعة قناديل موقدة على الدوام. و هناك مغاور أخرى فى أعلى الجبل و أسفله تضم قبورا نصرانية قديمة العهد. إن مدينة أورفا، تقع فى أرض غاية فى الخصب، تمتد شرقا إلى ما وراء البصر. و بالقرب من أسوار المدينة بساتين غناء تسقيها قنوات صغيرة مدت إلى هذه الأنحاء. و تعصر هناك الخمرة الجيدة. و هكذا يتمكن الإنسان أن يعيش فى أورفا كما لو يعيش فى أى ناحية من نواحى بلاد الترك. و لدى إقامتى فيها، اصطدت من بساتينها شيئا كثيرا من الدج الصغير . و فى الواقع، إن الطيور البرية لعلى غاية الكثرة فى هذه البقعة و أسوار المدينة مبنية بالحجارة، و كذلك الشرفات و الأبراج. أما البيوت ضمن المدينة فصغيرة الحجم، حقيرة البناء، مهدمة. و فى المدينة ميادين

رحلة الفرنسى تافرنيهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۳۵

عديدة متباعدة، تخلق لأورفا مظهر بادية أكثر منها مدينة كبيرة. و يحكم المدينة باشا، يأمرته ۱۵۰ إنكشاريا و ۶۰ سباهيا. و هذه الحامية أحوج إلى الخيالة منها إلى المشاة لتواتر غارات الأعراب عليها، و خصوصا فى موسم الحصاد. و بوجيز الكلام وجدنا أورفا البقعة التى يبالغ فيها الناس فى لبس الجلود المعروفة بالقرطية ، لأن مياه تلك البقعة تهبها ذلك الجمال الممتاز.

هذا، و إن الجلود الصفر تلبس فى أورفا، و الزرق فى طوقات، و الحمر فى ديار بكر.

و فى اليوم العشرين من آذار (سنة ۱۶۴۴ م) غادرنا أورفا، فحللنا بعد مسيرة ست ساعات فى قرية بسيطة فيها خان خرب، و فسقية ذات ماء نمير، و هذا كل ما يرتاح إليه المرء فى تلك القرية. أما الطعام فلا يمكن الحصول عليه.

و فى اليوم الحادى و العشرين، سرنا تسع ساعات و نزلنا قرب مغاور كثيرة عميقة جدا، فى مداخلها غرف صغيرة، يظن أنها مأوى رعاة تلك البقعة الذين يرعون أبقارهم هناك. و يمكن الاستفادة من ماء المطر المنحبس فى بعض تجاويف الصخور و يجب أن تقضى سفر نصف يوم فى اختراق الصخور الوعرة، التى يكاد يتعذر السير فيها، و من الخطر أن ترجع بدابتك إلى الوراء.

و فى اليوم الثانى و العشرين، بعد أن سرنا إحدى عشرة ساعة، دنونا من مغارة، ثم عبرنا نهرا ينساب عند قدميها. و هناك على جانبى النهر كهفان كبيران يقيم فيهما المسافرون، فيقصدهم الأهلون بالطعام لهم و العلف لدوابهم. إن جباة الرسوم يأتون من قلعة على نحو من ثلاثة فراسخ من هذه الكهوف، فيتقاضون قرشين و نصف القرش على حمل كل حصان أو بغل، و يفتشون فى الخرجة ليروا ما إذا كان فيها سلع تجارية. و عند منتصف الطريق من سفر هذا اليوم، نمر بمدينة خالية خاوية قد هجرها أهلها. و على مسيرة ساعة منها قبور من الصخر، يعلو وسطها صليب فيه كتابة أرمنية.

و فى اليوم الثالث و العشرين، تمادى بنا السير إحدى عشرة ساعة، فنزلنا

رحلة الفرنسى تافرنيهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۳۶

فى دادا كردين(Dadacardin) ، و يبدو أنها كانت مدينة كبيرة، و لكنها آلت إلى الخراب النهائى، و لم يبق منها شىء غير قنطرة طويلة من الحجر غاية فى حسن البناء، يجرى من تحتها نهر يتسع كثيرا حين الفيضان. و ليس لأبناء تلك البقعة مأوى غير تجاويف الصخور. و هم مع ذلك يبيعون للمسافرين الدجاج و الزبدة و الجبن و غير ذلك من الطعام بأبخس الأثمان.

و فى اليوم الرابع و العشرين، سرنا تسع ساعات، و نزلنا فى قره(Cara) و هى قرية مبنية فوق تل. نزلت القافلة فى الخان، أما الراهبان الكيوشيان و أنا، فقد نزلنا فى دار نصرانى، و قد أخذنا هذا إلى الكنيسة فرأينا الورتيد أو مطران ماردين. و كانت الكنيسة بسيطة فقيرة.

و فى هذه القرية، بركة أحيطت جوانبها بالصخر البديع الذى نقل من الكنائس و المقابر النصرانية فى تلك الأنحاء. و من بينها صخرة كبيرة جدا فيها شاهد بالحروف اللاتينية الكبيرة، علمنا من قراءتها أنها شاهد قبر سيد من الترمنديين، كان ضابطا للمشاة. و قد ذكرنا لنا الورتيد (المطران) أن الأقاصيص و الحكايات الأرمنية، تروى أن هذا الفرنسى مكث مدة طويلة فى هذه البلاد حين كان النصارى أسياد سورية. إن الأرض هناك سهل فسيح خصيب طوله نحو عشرين فرسخا، بوسعها أن تجعل من سكانها أغنياء، لو لا غشم الترك و غارات الأعراب عليهم مما أضعف ثروتهم و أدناها من حافة الفقر.

و فى اليوم الخامس و العشرين، بعد أن سرنا ثمانى ساعات، حططنا الرحال فى قرية يقال لها قوش حصار(Cousasar) ليس فيها خان. و كان هناك فيما سبق ثلاثة ديارات كبيرة بين الواحد و الآخر ربع فرسخ. و لكن الترك خربوا اثنين منها عدا أبراج الكنائس التابعة لهما. أما الثالث الذى لا يزال قائما بكامله، و هو من أجمل المبانى، فقد اتخذ مسجدا، و اتخذوا من الصوامع دكاكين لا تزال تتوسطها عين ماء.

و فى اليوم السابع و العشرين بقينا فى قوش حصار، إذ إنها المكان الذى يدفع فيه جمرك ديار بكر التى لا تبعد عنها أكثر من يومين. و الرسم يبلغ القرشين و الربع لكل حمل من السلع التجارية.

رحلة الفرنسى تافرنيهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۳۷

و مدينة ماردين لا تبعد عن قوش حصار أكثر من فرسخين. و هى بليدة قائمة فوق جبل، ذات أسوار منيعة، و ينبوع يستمد ماءه من

القلعة القائمة فى الجانب الشرقى، فى موضع عال يشرف على المدينة. و يقيم فى هذه القلعة باشا، يأمرته مائتا سباهى و أربعمائة انكشارى. و فى ماردين، ولدت السيدة معانى جويريدة(Maani Giorida) الزوجة الاولى لبترو دلّا فاله(Pietro della Valle) الرحالة الذائع الصيت .

و قوش حصار، قرية كبيرة معظم سكانها من نصارى الأرمن و النساطرة.

و يصلى الأرمن بلغتهم الأرمنية، و النساطرة باللغة الكلدانية. و قد أطلعنى النساطرة على نسختين من الكتاب المقدس فى مجلد كبير باللغة الآرمية، مكتوبين على الرق. و جميع الحروف الأولى من الفقرات مزوقة بالذهب و اللازورد، و يبدو عليهما أنهما قديمتا العهد. و أخبرنى أحد كهنتهم أن احداهما مضى على كتابتها ۹۳۷ سنة ، و الثانية لا يقل عمرها عن ۳۷۴ سنة.

و لما تنتهى الصلاة يودعونهما فى صندوق يخبأ تحت الأرض. و قد دفعت لهم من أجل المخطوطة القديمة ۲۰۰ قرش، و لكنهم لم يوافقوا على بيعها لأنها من ممتلكات الكنيسة التى ليس لهم أن يتصرفوا بها.

و فى اليوم السابع و العشرين، بعد مسيرة تسع ساعات، وصلنا إلى قره سراى(Kara Sara) التى كانت قبلا و لا شك مدينة كبيرة و كانت مأهولة بالنصارى إذ فيها سبع أو ثمانى كنائس نصف مهدمة إلا أن أبراجها أقل انهداما.

و بين الكنيسة و الأخرى مسافة ما. و فى شمال إحدى هذه الكنائس شرفة تفضى إلى باب صغير ينزل منه بدرج ذى مائة مرقاة، و علو كل مرقاة عشر عقد و إذا دخلت الكنيسة أبصرت عقادة واسعة كبيرة، تقوم على أعمدة. و شيد البناء بشكل ينفذ النور معه من الأسفل أكثر مما من الأعلى. و لكن الأتربة قد سدت

رحلة الفرنسى تافرنيهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۳۸

فى السنين الأخيرة عدة منافذ فيه. و المذبح الكبير منحوت فى الصخر، و عن يمينه غرفة ينفذ إليها النور من عدة نوافذ منقورة فى الصخر أيضا. و كان فوق باب الكنيسة صخرة كبيرة فيها حروف كتابة لم أستطع قراءتها. و فى الجانب الشمالى من الكنيسة نفسها صهريجان كبيران تحت الأرض، طول كل منهما أربعمائة و خمسون خطوة، و له قوسان كبيران يسندهما عدد كبير من العمد.

و هما يملآن فى كل سنة بسيول الأمطار المنحدرة من الجبل المجاور، فيكون منها ما يشبه نهرا. و على بعد ربع فرسخ من الكنيسة تنزل من الجبل نيفا و مائة خطوة بين الصخور، و على جانبى الطريق غرف منقورة فى الصخر، و فوق كل باب صليب، و فى كل غرفة دكة و منضدة و موضع صغير أشبه بسرير بطول الإنسان. كل ذلك مقدود فى الصخر. و فى أسفل الصخرة قاعة حول جدارها دكة، و السقف ساذج لا. أقواس فيه. و فى وسطه ثقب ينفذ إلى أعلى الجبل، و لما كان النور لا يخترقها، فيغلب على الظن أنه كان منفذا للدخان المتصاعد أثناء الطبخ، أو لدخول الهواء النقى كما لا حظت ذلك فى كثير من قرى خليج فارس . و فى أعلى أحد هذه الجبال قرية حقيرة يشترون منها مؤونتهم. و قبل أن تصل القافلة إلى هاتيك الغرف الصخرية، يستوضح التجار الراكبون فى المقدمة من الرعاة عما إذا كان لهم علم بوجود لصوص فيها، إذ كثيرا ما يختبئون هناك متربصين فريستهم.

و فى سنة ۱۷۳۸، عندما سار السلطان مراد لحصار بغداد، سلك هذا الطريق، و شاهد هذه الخرائب، فأمر بتخريب قلعة كانت على نحو فرسخين من قره سراى اتخذ منها لصوص تلك البقاع ملجأ لهم. و أمر كذلك بتنظيف الطريق إلى مسيرة أربعة أيام، و ذلك بالتقاط الحجارة المتبعثرة و جمعها فى أكوام تحاذى الطريق. و بنى أيضا قنطرة فوق النهر. و الحق يقال إن زحف السلطان عاد بفائدة جزيلة على المسافرين فى هذا الطريق.

رحلة الفرنسى تافرنيهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۳۹

و فى اليوم الثامن و العشرين، سرنا ثمانى ساعات، فبلغنا نصيبين المسماة قديما نصيبس(Nisibis) . فإذا سرت ساعتين أو ثلاثا فى هذا الطريق، رأيت على مقربة منه نوعا من المناسك، و هو غرفة صغيرة محاطة بسور، بابها شديد الانخفاض و على من يدخلها أن يزحف على بطنه. و قد ذهب ثلاثة أو اربعة من اليهود لأداء عبادتهم فى هذا المنسك لاعتقادهم أنه المكان الذى دفن فيه النبى أليشع.

و الأرض بين قوش حصار و نصيبين سهل فسيح، لا تجد فيه عشبا خلال الأيام الأولى من السفر، ما سوى كزبرة الثعلب. و فى اليوم التالى، ترى الحقول مغطاة بأوراق كبيرة ثخينة جذورها بصلية، كبر الواحد كالبيضة، كما تشاهد كثيرا من الأزهار الصفر و الحمر و البنفسجية، و السوسن بألوانه المتعددة، و شقائق النعمان و النرجس الأصفر. و مع ذلك، فإن ما بين النهرين بوجه عام أرض قاحلة، و ما يمكن تحسينه منها بالفن و المثابرة قليل.

و نصيبين الحالية ليست إلا ظلالا لنصيبين القديمة. و هى اليوم عبارة عن قرية كبيرة يسكنها النصارى من الأرمن و النساطرة. و قد نزلت قافلتنا وراءها قليلا، فى رحبة كنيسة ملاصقة لكنيسة أرمنية. و فى اليوم الثانى، لما سمعت الناس يرتلون، ذهبت إلى الكنيسة مع الراهبين الكبوشيين، فرأيت مطرانا أرمنيا بتاجه و صولجانه الخشبى، يحف به عدد من الكهنة و حشد كبير من المصلين. و فى ختام الصلاة، تبادلنا التحيات، ثم أنزلنا المطران إلى مصلى تحت الكنيسة، أرانا فيه ضريح القديس يعقوب مطران نصيبين . و فى صحن الكنيسة رخامة ثخنها قدم و ارتفاقها ست أقدام، فوقها عدة شموع من العسل

رحلة الفرنسى تافرنيهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۴۰

و الشحم، و هى التى ينذرها الفقراء لبلوغ مرامهم. خاصة فى مرضهم، فإنهم يعتقدون أن الحجرة كانت قاعدة تمثال لأحد القديسين شوّهه الترك، و لهذا فهم يكرمون القاعدة كما لو كان ذلك التكريم للتمثال ذاته. و قد ترى أيضا بعض الأحرف اللاتينية، غير أن نصفها ممحو، و أجزاء بعض الحروف الباقية مكسورة، و لهذا لم أستطع أن أعرف لمن هذا التمثال. و على بعد نصف فرسخ من نصيبين نهر عليه قنطرة من الحجر، و فى الطريق إلى هذا النهر عدة قطع من جدار، مع قوس، و هذا حملنى على الافتراض بأن المدينة كانت تمتد فيما مضى حتى النهر.

و على ضعفى رمية بندقية من النهر، صخرة نصفها مطمور، عليها كتابة لاتينية يؤخذ منها أنها شاهد قبر قائد فرنسى فى الجيش. و لكننى لم أتمكن من قراءة اسمه الذى ضاعت بعض معالمه بمرور الزمن.

و فى نصيبين، تؤدى الرسوم كسائر الأمكنة، أى أن تدفع قرشين و نصف القرش على حمل البغل أو الحصان. و قد مكثنا فى هذه المدينة ثلاثة أيام بلياليها، لنتزود بالطعام الذى يكفينا حتى الموصل التى تبعد مسيرة خمسة أيام عن نصيبين، لأن المنطقة بين هاتين المدينتين مقفرة خالية من السكان، و لا يوجد الماء إلا فى موطنين، و هو ليس بالجيد لأن الرعاة يترددون إليهما بقطعانهم.

و فى أول نيسان (سنة ۱۶۴۴ م) غادرنا نصيبين، و بعد مسيرة إحدى عشرة ساعة، حططنا الرحال عند نهر، فأتانا الرعاة بدجاج للبيع.

و فى اليوم الثانى منه، سرنا عشر ساعات، ثم نزلنا قرية حقيرة لم نجد فيها ما نأكل.

و فى اليوم الثالث منه، تمادى بنا السير ثلاث عشرة ساعة، و نزلنا عند ينبوع صغير نزر الماء لم يكد يكفى لخيلنا.

و فى اليوم الرابع منه، انتهينا بعد مسيرة عشر ساعات، إلى ضفة نهر بتنا عندها، و بالقرب منها بقايا قنطرة و حصن.

رحلة الفرنسى تافرنيهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۴۱

و فى اليوم الخامس منه، بعد مسيرة احدى عشرة ساعة بلغنا الموصل، التى لا تبعد عن نينوى القديمة إلّا يسيرا.

و الموصل، مدينة تبدو للمرء من خارجها فخمة المنظر. أسوارها حجرية، بينما هى فى داخلها تكاد تكون برمتها خربة. و ليس فيها سوى سوقين معقودتين، و قلعة صغيرة مطلة على دجلة يقيم فيها الباشا . و بوجيز الكلام، ليس فى الموصل ما يستحق المشاهدة و الالتفات .

و ليس لهذه البقعة من شأن إلا كونها ملتقى مهمّا للتجار، خاصة تجار العرب و الكرد الذين يقطنون بلاد أشور القديمة، المسماة اليوم بكردستان، التى يكثر فيها العفص الرائج التجارة. و فى الموصل أربع فرق نصرانية، و هى: الروم، و الأرمن، و النساطرة، و الموارنة . و للكبوشيين مقر جميل على دجلة ، و لكن الباشا غرمهم لأنهم حاولوا توسيعه قليلا فأجبروا على تركه و هجره. و يحكم المدينة باشا، يأمرته جماعة من الانكشارية و السباهية يبلغ عددهم ثلاثة آلاف رجل.

و ليس فى الموصل غير خانين بسيطين، كانا مكتظين بالمسافرين حين

رحلة الفرنسى تافرنيهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۴۲

وصولنا إليها. فطلبت أن تنصب خيمتان فى الميدان، أى فى السوق الكبيرة.

و يجدر بنا أن نتكلم قليلا على ما بين نهرى دجلة و الفرات من تباين فى مجراهما و مياههما. فقد لاحظت أن ماء الفرات يبدو محمرا قليلا، و أن تياره ليس سريعا كتيار دجلة الذى يظهر مائلا إلى البياض كنهر اللوار . أما عن مجراهما فالفرات أطول من دجلة. و الآن دعنا نقطع دجلة فوق جسر من القوارب لمشاهدة الخرائب الكئيبة لمدينة نينوى التى ملأت العالم ضجيجا، و ليس فى مظهرها الآن ما يدل على سابق مجدها.

شيدت نينوى على الضفة اليسرى لدجلة، أى فى الضفة الأشورية. و هى الآن ليست إلا أكواما من التراب تمتد نحو فرسخ بامتداد النهر. و يرى فيها عدد من الأقبية و المغاور غير المأهولة . و يصعب على الإنسان أن يعلم ما إذا كانت هذه بعينها المساكن القديمة فى المدينة، أم كانت هنالك بيوت مشيدة فوقها فى الأزمنة الخالية. لأن معظم البيوت فى البلاد التركية تشبه السراديب، أو لا تتألف إلا من طبقة واحدة عالية. و على نصف فرسخ من دجلة تل تشتت على سطحه بيوت و فى قمته مسجد يذهب أهل تلك البقعة إلى

رحلة الفرنسى تافرنيهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۴۳

أنه الموطن الذى دفن فيه يونس (يونان)، و هذا المسجد جليل المكانة و لا يباح لنصرانى أن يدخله إلا بوجه خصوصى، فضلا عن دفع نقود فى سبيل ذلك. و بالوسيلة ذاتها أمكننى، مع اثنين من الرهبان الكبوشيين، الدخول فيه، و لكننا أجبرنا على خلع نعالنا قبل السماح لنا بالدخول. و فى وسط الجامع ضريح مغطى بسجادة فارسية منسوجة من الحرير و الفضة، و فى كل ركن من الضريح شمعدان نحاسى كبير فيه شمعة من شمع النحل، هذا إلى جملة من القناديل و بيض النعام مدلاة من السقف. و وجدنا جمعا كبيرا من المسلمين خارج المسجد، و فى داخله رأينا درويشين يتلوان القرآن.

و على رمية بندقية من الموصل، إلى شمالها الشرقى، أطلال دير كبير متهدم، يحيط به سور عال ما زال معظمه قائما .

لقد مكثنا فى الموصل عشرة أيام، و بعد أن تزودنا منها بكل ما نحتاج إليه لبقية سفرنا، غادرناها قاصدين أصفهان.

رحلة الفرنسى تافرنية إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۴۵

الفصل الخامس (من الكتاب الثانى من الرحلة) نسخة الكلام على الطريق من نينوى إلى أصفهان

بعد أن عبرنا دجلة، نزلنا فى مكان على مسيرة ثلاثة أرباع من نينوى منتظرين تجارا أزمعوا على السفر مع قافلتنا. و لم نسلك الطريق المعتاد إلى بلاد فارس، بل سرنا فى طريق يقل فيه دفع الرسوم، ذلك إلى كونه أقصر مسافة.

و تقطع القافلة ما بين حلب و أصفهان بثمانية و خمسين يوما. إننا من ضفاف دجلة حتى المكان الذى نزلنا فيه مساء ذلك اليوم، لم نمر بغير خرائب متصلة، مما حملنى على الاعتقاد أنها البقعة التى كانت تقوم فيها نينوى القديمة.

و قد مكثنا يومين قرب المسجد . و الذى يتناقله المسلمون، إن يونس دفن فيه. لقد اخترنا رجلا كرديا أى أشوريا ليتزعم قافلتنا (أى يصير كروان باشى). و مع أنه بشك فى أمانته فقد كان اختيارنا له ضربا من السياسة، لأنه كان علينا اجتياز بلاد آشور القديمة التى تسمى الآن كردستان، و هذه بقعة يتكلم أهلها لغة خاصة بهم.

و فى اليومين الأولين من السفر، عبرنا جدولين يأتيان من الجبال و يصبان فى دجلة. و كان أول سفرنا فى بسيط من الأرض بموازاة ضفة جدول. و فى مساء اليوم الثانى نزلنا عند نهر كبير ينحدر من الجبال الشمالية و يجرى جنوبا فيصب فى دجلة، و يسمى بهرز (Bohrus) ، و تياره سريع عنيف، و هو زاخر

رحلة الفرنسى تافرنية إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۴۶

بالسمك و خصوصا سمك سليمان. و قد ظلت القافلة فى عبورها هذا النهر يومين لعدم تيسر القوارب هناك. فكان على الناس أن يربطوا أعمدة خشبية طويلة، و الواحد فوق الآخر، يسميها الأهلون هناك «الكلك»، و هم يصنعونه بشكل مربع، و يضعون تحته نحو مائة جراب منفوخ بالهواء لتجعل الكلك يطفو على وجه الماء دون أن يلامس خشبه. و على التجار أن يحتاطوا بوضع لبايد ثخينة فوق الكلك لئلا يتسرب الماء إليهم و تبلل أحمالهم. و فى زوايا الكلك الأربع، خشبات تقوم مقام المجاذيف، و لكن فعلها ضئيل يزاء قوة التيار. و لهذا، ينبغى سحب الكلك ضد التيار إلى مسافة أربعمائة أو خمسمائة خطوة، و من ثم يجذف مع التيار حتى يبلغ المكان الذى يراد إنزال الأحمال فيه فى الجانب الآخر. و بعد تفريغ الأحمال، على الملاحين أن يرفعوا الكلك من الماء، و يفكوا الجربان و يحملوها على بغال معدة لهذا الغرض. إن أصحاب الخيل و البغال و الحمير هناك، سواء أكانت للحمل أم للركوب، حالما يرون قافلة قادمة، يهرعون بها إلى ضفة النهر، و ليس عليهم إلا وزرة من قماش أو من جلد الماعز، يسترون بها عوراتهم، أما ثيابهم فيتزعونها و يلفونها على رؤوسهم كأنها العمامة. و يربط كل منهم تحت بطنه جرابا منفوخا فيتقدم اثنان أو ثلاثة من أمهرهم راكبين أحسن الخيول الملجمة، فيتزلون فى الماء و يتيمهم البقية سباحة، سائقين خيلهم أمامهم. و قد قبض كل منهم ذيل دابة بإحدى يديه و بالأخرى يسوقها. فإن وجدوا حصانا أو حمارا ضعيفا، ربطوا تحت بطنه جرابا منفوخا عونا له. فإذا أدركنا هذه المصاعب، اتضح حين ذاك أن ما يستغرقه عبور قافلة من خمسمائة أو ستمائة دابة لا يقل عما ذكرنا.

و بهذا الوجه عبرت القافلة، و لكنها سارت فى اليومين أو الثلاثة الأولى من سفرها فى طريق ردىء جدا، لأن الخيل فى اليوم الأول من السفر كانت تسير فى مياه تبلغ ركبها دون انقطاع. و فى اليوم الثانى و شطر من الثالث كانت تسير فى قفار موحشة لم نجد فيها لخيلنا علفا ما، عدا عن أحطاب قليلة لطبخ رزنا. و بعد اجتيازنا هذا الطريق الردىء بلغنا نهرا يقال له الزاب الكبير

رحلة الفرنسى تافرنية إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۴۷ (Great Zarbe)

فعبرناه فوق قنطرة حجرية تتألف من تسعة أقواس. و يروى الأهلون أن هذه القنطرة أقامها الإسكندر الكبير عند مسيره لمناجزة دارا. و على قيد ربع فرسخ من جنوب شرقى القنطرة، يلتقى نهيران يصبان فى دجلة و بعد اجتيازنا القنطرة، بلغنا بلدة يسمونها شهرزور(Sherazour) و هى مبنية على نشز من الأرض، فيها ثلاثة متاريس، و يقيم فيها «باشا» لا مندوحة للقافلة أن ترشيه بهدية و لو صغيرة، و ذلك كى يسمح لها بالمرور من هناك. و نزلنا عند ضفاف نهر و لبثنا هناك يومين. ثم سرنا يوما فى جبال جرد لا ماء فيها. على أننا فى اليوم الثانى انتهينا إلى سهل مبهج تكثر فيه الأشجار المثمرة، و ما هذا إلا سهل إربل الذى تغلب فيه الإسكندر على دارا ، و يبلغ طوله خمسة عشر فرسخا، و تسقيه جداول عديدة. و فى وسط الجبل تل صغير محيطه نحو نصف فرسخ كسته الطبيعة بأجود أشجار البلوط التى لم ير مثلها. و فوق قمته خرائب حصن تدل على أنه كان بناء عظيما. و يروى أهل تلك البقعة أن دارا مكث فى هذا الحصن أثناء اشتباكه رجاله بالمعركة مع الإسكندر. و على ثلاثة فراسخ من هذا الحصن، قرب جبل عظيم يتجه شمالا، بقايا حصن آخر وعدة بيوت، يتناقل الأهلون فيما بينهم أن دارا حمى بعض نسائه فيها لما خسر المعركة.

و يقوم هذا الحصن فوق بقعة جميلة المنظر. و فى حضيض الجبل عين ماء، تنساب مسيرة ربع فرسخ، ثم تصب فى نهر صالح لسير القوارب الكبيرة.

و هذا النهر يتلوى بين الجبال متجها جنوبا، بحيث إنك بعد مسيرة يومين من التل تعبر هذا النهر ثانية قرب بلدة يقال لها شهرزور، فوق قنطرة من الحجر ذات تسعة أقواس، و هى التى أمر الشاه عباس الكبير بهدم ثلاثة من أقواسها بعد استيلائه على بغداد.

رحلة الفرنسى تافرنية إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۴۸

و شهرزور بلدة تختلف فى بنائها عن أى بلد فى تلك الأنحاء، فجميعها منحوت فى الصخر بما يبلغ امتداده ربع فرسخ، و لهذا عليك أن ترتقى بيوتها بمرقاة تتألف من خمس عشرة إلى عشرين درجة، و أحيانا أقل، بنسبة ارتفاع المكان الذى تقصده. و ليس لمداخل بيوتها أبواب، بل لها أحجار مستديرة تشبه حجر الرحى، يدحرجونها حين الدخول أو الخروج. و حافات الحائط نقرت بوجه يستوعب هذا الحجر. كما هى الحال فى العلية و غطائها، إذ يصبح الحجر باستواء واجهة الجبل عند وضعه على الباب.

و تبدو أعالى بيوتهم كالروازين فى الجبال، و قد اتخذ الأهلون مغاور لحفظ ماشيتهم فيها، و من ذلك نحكم أنها نقرت لتحمى السكان من عرب ما بين النهرين و بدوهم.

انتهينا إلى شهرزور فى ليلة عيد الفصح، و مكثنا هناك ثلاثة أيام طلبا للراحة بعد صوم تمسكنا به. و قد رأيت هنا ينابيع يخرج منها الماء بفقاقع كبيرة. و بعد أن مزجت هذا الماء بكأسين من الخمر و شربته وجدت له خاصية الإسهال، كما أنه ذو مذاق معدنى. إن ماء هذه العيون يغلى قرب ضفة نهر يسمى ألتون صو أو نهر الذهب الذى يصب فى دجلة، و بعد مسيرة ثلاثة أيام من مصبه يصل المرء إلى بغداد.

و فى اليوم التالى، نزلنا بلدة حقيرة على الحدود بين تركيا و إيران .

و فى اليوم الذى يليه، و هو اليوم الخامس بعد مغادرتنا نينوى مررنا بعدة مناقع و مياه حارة تفصل بين الامبراطوريتين. و هكذا دخلنا فى بلاد فارس، و صادفنا جبلا شامخا تغطيه أشجار البلوط التى تحمل العفص. و لعلو هذا الجبل الشاهق، استغرقت القافلة بضع ساعات لبلوغ قمته. ولدى صعودنا هذا الجبل، و خاصة عندما أدركنا قمته، سمعنا طلقات بندقية تدوى فى الفضاء، فظننا بادئ الأمر أن أناسا يصطادون الخنزير البرى أو الغزال مما تكثر به

رحلة الفرنسى تافرنية إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۴۹

الجبال، و لكن صوت الرصاص كان أقوى و أشد مما يستعمله الصيادون.

فتأهبنا للأمر. و كان من الواجب التدبر فى مسيرنا لو كنا نعلم ما سيجابهنا من أمر، إذ تذكرت أن الأهلين هناك لا يبيعون شيئا إلا مقابل بارود أو رصاص.

و كان الكروان باشى قد نصحنى مرة أن لا أقايضهم خشية أن يستعملوا ما يأخذونه منا ضدنا. ثم انحدرنا من الجبل إلى سهل خصيب تسقيه عدة أنهر.

فالمقاطعة التى اجتزناها حتى الآن، تؤلف القسم الأعظم من بلاد آشور القديمة.

رحلة الفرنسى تافرنية إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۵۱

الفصل السادس (من الكتاب الثانى من الرحلة)

[ملاحظة: و فى رحلة تافرنيه الرابعة الموصوفة فى الفصل السادس من الكتاب الثانى، التى بدأ بها فى ۱۸ حزيران سنة ۱۶۵۱ م، بخروجه من باريس مارا بمرسيليا، و منها إلى سردينيا، فتونس، فبانتيلاريا، فصقلية، ثم مالطة، فكريت، و منها اجتاز بحر المورة، فوصل إلى قبرص، و منها إلى ساحل سوريا فى خليج انطاكيا، فالإسكندرونة، و منها إلى حلب] قال بعد ذلك:

و فى الثالث عشر من كانون الأول (١٦٥١ م) توجهنا نحو نينوى بطريق يختلف قليلا عما سلكته فى رحلتى الثالثة من باريس و وصفته فى وقته. وصلنا فى اليوم الثانى من شباط (١٦٥٢ م) مدينة الموصل أو نينوى، فمكثنا فيها إلى اليوم الخامس عشر منه، و ذلك إلى أن تهيأت الأكلاك، و هى سفن ذلك البلد.

و كان فى كلكنا ثلاثون مسافرا و أحمال كثيرة. فسار بنا الكلك فوق دجلة، من الموصل إلى بابل.

رحلة الفرنسى تافرنيهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۵۳

الفصل السابع (من الكتاب الثانى من الرحلة) مواصلة الطريق الذى سلكه المؤلف فى رحلته الرابعة فى آسيا، و خاصة سفره فى دجلة من نينوى إلى بابل (بغداد)

اشارة

فى الخامس عشر من شباط (١٦٥٢ م)، تحركنا من الموصل، و بعد أن جرى الكلك بنا ست ساعات، رسونا قرب حمام حار المياه، على بعد رمية بندقية من دجلة، و كان مزدحما بالمعلولين الذين أتوه للاستشفاء من كل حدب وصوب . و قد أقمنا على حراسة الكلك طوال الليل، و لكن بالرغم من تيقظنا فقد سرق الأعراب غطاءين من أحد التجار و ثيابا من رجل تركى كان قد نزل إلى الحمام.

و فى اليوم السادس عشر منه، بعد أن جذفنا حوالى خمس ساعات، بلغنا سدا ضخما ، عرضه ٢٠٠ قدم، و يشكل شلالا فى النهر انحداره عشرون قامة.

و يقول العرب إن الإسكندر الكبير قد أقامه رغبة منه فى تغيير مجرى النهر، بينما يقول غيرهم إن دارا هو الذى أمر ببنائه لصد مرور المقدونيين الآتين بطريق الماء . و مهما يكن من أمر هذا السد، فقد اضطررنا إلى النزول برا مع أحمالنا، فحملناها على الدواب التى جاءنا بها العرب.

إن عبور هذا السد لأمر جدير بالمشاهدة، لأنه من العجيب أن ترى الكلك يهوى بغتة من علو ١٢٠ قدما، و هو محافظ على موازنة جريانه فوق

رحلة الفرنسى تافرنيهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۵۴

الماء بواسطة الجربان. و يربط ملاحو الكلك أنفسهم و مجاذيفهم ربطا و ثيقا بمرابط مقوسة بهيئة نصف دائرة، ليحموا أنفسهم من قوة الماء. و فى الحقيقة، إن هذا السد هو الذى يجعل من دجلة نهرا غير صالح للملاحة.

ثم جاء الكلك إلى المكان الذى كنا ننتظره فيه، فوسقنا أحمالنا، و رسا حيث كنا من ضفة النهر. و من عادة الأعراب أنهم إذا شعروا بنوم التجار، يقطعون حبال الكلك و يتركونه يبتعد عن حافة النهر، فيتيعونه سباحة، و يسرقون منه ما راق لهم.

و فى اليوم السابع عشر، بعد تجذيف ثلاث ساعات، التقينا بنهر الزاب الذى يصب فى دجلة من جهة بلاد كلدية. و على نصف فرسخ من النهر حصن من الآجر على تل صغير، مهجور فأدى ذلك إلى خرابه. مكثنا فوق الماء فى هذا اليوم اثنتى عشرة ساعة، ثم رسونا فى حويجة، و أوقدنا نارا عظيمة، و أطلقنا بنادقنا غير مرة لترويع الأسود .

و فى اليوم الثامن عشر، لبثنا فى الكلك ثمانى عشرة ساعة، و رسونا على ضفة النهر، عند الجهة الآشورية. و فى المساء جلب لنا الأعراب لبنا و زبدة، لقد جاءوا إلينا سابحين من ضفة النهر الأخرى و تحت بطونهم جربان و أخرى فوق رؤوسهم فيها ما جلبوه لنا، و هم لا يتقاضون عنه نقودا بل تبغا أو كعكا أو فلفلا.

رحلة الفرنسى تافرنيهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۵۵

و فى اليوم التاسع عشر، بعد أن جرى بنا الكلك أربع ساعات، التقينا بنهر يقال له ألتون صو ، أى نهر الذهب و هو الذى ينبع من جبال ماذى، و قد سرت بهذا النهر ثلاثة أيام فى إيابى من تبريز إلى حلب، عابرا دجلة عند ميسيا (Mesia) . و لماء هذا النهر مذاق عذب، و هو يصب فى دجلة عند الجهة الآشورية. و على امتداد دجلة، من الجهة ذاتها، عدد كبير من عيون القار و غيرها من المياه الحارة ذات الرائحة الكبريتية. و فى ذلك اليوم لم نر غير أعراب و أكراد يسيرون بمحاذاة ضفتى النهر: الكرد فى جهة ما بين النهرين، و العرب فى الجهة الآشورية. لقد كانوا فى حرب، و كان كل من الفريقين يسير بنظام تام: الشبان يحملون الأقواس و النشاشيب و بعض البنادق و عدة حراب نصفية، و من ورائهم نساؤهم و فتياتهم و أطفالهم، مع أبقارهم و أغنامهم و إبلهم، و يسير فى المؤخرة المسنون. و كان كل من الأكراد و الأعراب يرسلون فرسانهم للاستطلاع على المرتفعات، فإن رأى أحد الطرفين المجال مساعدا للهجوم، سبحت جموعه فى الماء و هاجموا أعداءهم. أما نحن، فلما كنا لا نثق بمثل هؤلاء الناس، جذفنا مدة تسع عشرة ساعة لنتجنبهم.

و فى اليوم العشرين، بقينا إحدى عشرة ساعة فوق دجلة، و رسونا عند بلدة يقال لها تكريت، فى جهة ما بين النهرين. فى هذه البلدة قلعة نصف خربة، و مع ذلك لا تزال ترى فيها بعض غرف أنيقة. و من الجهة الشمالية و الشرقية يقوم النهر مقام خندق، أما من جهتيها الغربية و الجنوبية فيحدق بها خندق اصطناعى مرصوف بالحجارة. و يقول العرب إنها كانت قديما أقوى موضع فى كل ما بين النهرين. و يشرف عليها تلال غير بعيدين عنها. و كان يسكن النصارى على مسافة نصف فرسخ من المدينة حيث إن خرائب كنيسة

رحلة الفرنسى تافرنيهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۵۶

و قسما من برجها لا تزال تشاهد، و يظهر من بقاياها أنها كانت بناء عظيما فيما سبق.

و فى اليوم الحادى و العشرين، بعد أن جذفنا ثلاث ساعات، صادفنا بلدة على الجهة الآشورية، تسمى إمام دور(Amet -el -tour) و هى باسم شخص له مرقد فيها، و يعده الناس هناك وليا و هو موضع تكريمهم، يقصده كثير من أهل الدعاء و النذور. و مكثنا فى ذلك اليوم اثنتى عشرة ساعة فى الماء ثم رسونا عند ضفة النهر.

و فى اليوم الثانى و العشرين، بعد أن بقينا فى الماء ساعتين، التقينا بجدول يأخذ ماءه من دجلة لسقى الأراضى هناك، و يمتد إلى قرب قبالة بغداد، و هناك يصب فى دجلة مرة ثانية. و من هناك نزلنا إلى البر فى الجهة الكلدانية، لأنه كان برفقتنا مسلمون أحبوا أن يتركوا بزيارة مكان يقال له سامراء(Samatra) ، و فيها جامع لا يبعد أكثر من نصف فرسخ من النهر، يؤمه كثير من المسلمين لتقديم فروض العبادة، خاصة الهنود و الترك الذين يعتقدون أن أربعين نبيا من أنبيائهم مدفونون هناك. و لما علموا أننا نصارى لم يسمحوا لنا بأن نطأ أرضه. و على خمسمائة خطوة من الجامع برج مشيد بمهارة فائقة، له مرقاتان من خارجه تدوران حوله دوران الحلزون. و إحدى هاتين المرقاتين أعمق فى بنايهٔ البرج من الأخرى. و كان بإمكانى أن أمعن النظر فيه أكثر من هذا لو سمح لى بالدنو منه إلى مسافة قريبة. و الذى لا حظته، أنه مشيد بالآجر، و يبدو عليه مسحة القدم. و على نصف فرسخ منه، تبدو ثلاثة أبواب كبيرة كأنها أبواب قصر عظيم . و فى الحقيقة لا يستبعد أن فى هذه الأنحاء كانت مدينة عظيمة، لأن على مسافة ثلاثة فراسخ على طول النهر لا يرى شىء

رحلة الفرنسى تافرنيهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۵۷

سوى الخرائب . لقد بقينا اثنتى عشرة ساعة هذا اليوم فوق الماء، و رسونا عند ضفة دجلة حسب العادة.

و فى اليوم الثالث و العشرين، مكثنا عشرين ساعة فى الماء، و لم نشاهد طول اليوم على جانبى النهر شيئا غير أكواخ حقيرة من سعف النخل، يسكنها بعض الفقراء الذين يديرون ناعورا لسقى الأراضى المجاورة. و التقينا فى ذلك اليوم أيضا بنهر يدعى العظيم(Odoine) الذى يصب فى دجلة فى جانب كلدية القديمة.

و فى اليوم الرابع و العشرين، لبثنا اثنتين و عشرين ساعة فى الماء لم نغادر فى أثنائها الكلك، و السبب فى ذلك أن التجار أخرجوا من الكلك كل ما عندهم من نقود و أحسن ما لديهم من بضاعة و سلموها إلى أبناء تلك البقعة الذين يحملونها بأمانة عظيمة إلى بغداد حيث يريد التجار بيع سلعهم. و بعد التجار إلى ذلك تهربا من دفع خمسة بالمائة فى المدينة (بغداد). و لقد أمنت أنا أيضا عندهم عدة أشياء قدموا لى بها حسابا دقيقا كما فعلوا مع الآخرين و رضوا لقاء أتعابهم بشىء زهيد.

و فى اليوم الخامس و العشرين، انتهينا نحو الساعة الرابعة صباحا، إلى مدينة بغداد التى تعرف عادة باسم بابل، تفتح أبواب المدينة فى الساعة السادسة، فجيء رجال الجمرك ليدونوا ثبتا بالسلع و يفتشوا التجار أنفسهم، فإن لم يجدوا معهم شيئا، سمحوا لهم بدخول المدينة. أما إذا كان عليهم ما يجب تأديته من رسوم، فإنهم يأخذونهم إلى دار الجمرك و يدونون ما معهم من سلع و يدعونهم يذهبون. و يحمل إلى الجمرك أيضا جميع ما فى الكلك من السلع التى يذهب التجار لتسلمها من هناك فى خلال يومين أو ثلاثة أيام بعد دفع ما عليها من رسوم الجمرك. و هذا كله يتم بنظام تام، دون ما جلبة و لا ضوضاء.

و مع أن مدينة بغداد تعرف عادة باسم بابل، فإنها تبعد مسافة كبيرة عن

رحلة الفرنسى تافرنيهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۵۸

بابل القديمة و سأتكلم فيما يلى على بغداد كما هى اليوم:

تقع بغداد على نهر دجلة، و فى ضفة جانب فارس ، و يفصلها هذا النهر عما بين النهرين. و هى مبنية على خط عرض ١٥ ٣٣. و يروى المؤرخون العرب، أن أحد الخلفاء المسمى بالمنصور، شيدها سنة ١٤٥ للهجرة، الموافقة لسنة ٧٦٢ للميلاد أو حواليها. و هم يسمونها أيضا دار السلام(Dar -al -Sani) . و يذهب بعضهم إلى أنها اشتقت اسمها من دير كان فى مرج حيث تقوم المدينة الآن. و لذلك سميت بغداد، أى بستان موقوفة أو موهوبة .

و عندما كان بعض الفعلة يحفرون فى أسس خان، قبل نحو من أربعين سنة، وجدوا جثة مسجاة كما يسجى الأسقف، و بجانبه الكافور و الطيب. و فى المكان نفسه ظهرت عدة قلال من بيوت دينية، مما يترجح معه القول إن الموضع الذى بنيت فيه بغداد، كان قديما ديرا كبيرا و بيوتا عديدة يسكنها النصارى. و يبلغ طول المدينة نحوا من ١٥٠٠ خطوة، و عرضها ٧٠٠ أو ٨٠٠ خطوة، و لا يتعدى محيطها ثلاثة أميال. أما سورها فمبنى بالآجر، و يقطع هذا السور فى بعض النقاط أبراج كبيرة كالمتاريس نصب فوق جميعها زهاء ستين مدفعا، و لكن ليس بين هذه المدافع ما يحمل أكثر من خمس أو ست قنابر.

و يكتنف السور خندق عريض، عمقه نحو خمس أو ست قامات. و للمدينة أربعة أبواب، ثلاثة منها فى جهة البر، و واحد مطل على النهر ، و منه يعبر النهر على جسر ذى ثلاثة و ثلاثين قاربا، بين القارب و الآخر مسافة تبلغ عرض قارب واحد. و القلعة فى داخل المدينة، بالقرب من الباب المسمى بباب المعظم(el -Maazam) ، و هو فى شمالى المدينة. و يطل قسم من القلعة على النهر، و يضمها سور بعض أقسامه مسطح. إن هذا السور مقوى بأبراج

صغيرة، أقيم فوقها نحو من مائة و خمسين مدفعا لا عجلات لها. و الخندق المحدق بسور القلعة ضيق لا يتجاوز عمقه القامتين أو الثلاث. و ليس على الخندق أمام الباب جسر قابل للانفتاح. و فى القلعة حامية قوامها ثلاثمائة إنكشارى يرأسهم آغا. و يحكم المدينة باشا يكون عادة برتبة وزير، و لمسكنه المطل على دجلة منظر بديع. و بأمرته دائما ستمائة أو سبعمائة فارس. و هنالك أيضا آغا يرأس بين الثلاثمائة و الأربعمائة سباهى، هذا إلى صنف آخر من الخيالة يسمون جنكوليلر أى الشجعان، على رأسهم اثنان من الأغوات. و فى المدينة و البلدان المجاورة لها حوالى ثلاثة آلاف من هؤلاء الرجال. إن مفاتيح أبواب المدينة و باب الجسر تودع عند آغا آخر، يأمرته مائتا إنكشارى.

و هنالك أيضا ستمائة من المشاة يرأسهم آغا، و نحو ستين مدفعيا كانوا فى ذلك الحين يأمرة خبير يسمى السنيور ميخائيل، الذى يعتبر تركيا و إن كان من مواليد كاندى (كريت). لقد وقف هذا الرجل نفسه لخدمة الباب العالى حينما ذهب لحصار بغداد سنة ١٦٣٨ م. و مما ذكره أن الأتراك الذين خدمهم الحظ للاستيلاء على المدينة بوقت قصير، لم يكن الفضل فى ذلك للثغرة التى أحدثها السنيور ميخائيل فى السور فحسب، بل أيضا إلى ما أحدثه الشغب و الثورة حينذاك من التأثير فى المدينة. و ها أنذا أدرج فيما يلى قصة فتح المدينة بإيجاز:

إن الخان الذى تحمل العبء الأكبر أثناء الحصار فى بادئ الأمر كان أرمنى الأصل و اسمه صفى قولى خان. فقد حكم المدينة مدة طويلة، و دافع عنها مرتين ضد الجيش التركى الذى لم يتأت له الاستيلاء عليها من قبل. لكن ملك فارس أرسل بعض محسوبيه لتسلم مهام القيادة بدلا منه، فتسلمها منه قبل أن يعمل المدفع عمله فى ثغر السور. و لما وجد الخان السالف نفسه قد استخلف بالحاكم الجديد، آثر الموت على تحمل الإهانة التى لحقت به.

فدعا بخدمه و ضباط الجيش و امرأته و ابنه، و تناول بيده أمامهم ثلاثة كؤوس من السم، و أمر زوجته، فيما إذا كانت تحبه حقا، أن تبرهن على صدق حبها له بأن تشاركه الموت بطيبة خاطر. و وجه الخطاب نفسه إلى ابنه. و هكذا تجرع الثلاثة كؤوس السم الذى قضى عليهم سريعا. أما الجنود الذين كانوا يكنون له

فى قلوبهم حبا عميقا، فإنهم بعد أن أبصروا هذا المشهد المفجع، و لعلمهم أن السلطان أعد العدة لهجوم عام، لم ينقادوا لخانهم الجديد، بل ساروا فى طريق التمرد و العصيان، و بلغ من غلوائهم فى هذا الموقف، أن رضوا بتسليم المدينة للترك، على أن يسمح لهم بالخروج منها بجميع سلاحهم و مؤنهم. غير أن الترك لم يحافظوا على كلمتهم، إذ ما إن دخلوا المدينة حتى أشار الباشا على السلطان أن يضعف قوة الفرس، بأن يعمل السيف فى رقاب كل الجنود الذين كانوا فى المدينة، فوقعت حينذاك مذبحة ذريعة بلغت ضحاياها زهاء عشرين ألف نسمة ذهبت غدرا. و استولى الترك على دير الكبوشيين، و لكن السنيور ميخائيل رئيس المدفعية أفلح فى إعادته إليهم.

أما عن الحكومة المدنية فى بغداد، فليس فيها غير قاض تناط به كل الأعمال، حتى منصب المفتى، و معه دفتردار يتسلم واردات السلطان. و فى بغداد خمسة جوامع: اثنان منها مبنيان بهندسة بديعة، تزينها قباب مكسوة بالقرميد المدهون ذى الألوان المختلفة. و فيها أيضا عشر خانات بناؤها حقير ما خلا اثنتين منها ينال فيهما المسافرون قسطا من الراحة. و بالإجمال، إن المدينة ساذجة البناء، لا جمال فيها، اللهم إذا استثنينا أسواقها المسقفة، و لو لا ذلك لما استطاع التجار تحمل حرارة الصيف. و ترش الأسواق ثلاث أو أربع مرات فى اليوم، يرشها قوم يتقاضون أجورهم من عموم أهل السوق. و تجارة المدينة رائجة، و لكن ليست بما كانت عليه فى أيام ملك فارس. لأنه عند ما استولى عليها الترك، اغتالوا كثيرا من أثرياء التجار. و مع ذلك، فإن الناس يتوافدون عليها من كل حدب وصوب، و لا أدرى أكان ذلك للتجارة أم للعبادة، فإن شيعة على(Haly) يعتقدون أن عليا عاش فى بغداد . ثم إن كل من يرغب فى الحج إلى مكة يرا، عليه أن يمر ببغداد، و على كل حاج حينذاك أن يدفع إلى باشا بغداد أربعة قروش. و مما يجدر ذكره، ان فى بغداد مذهبين إسلاميين، هما مذهب الشيعة و مذهب السنة، و هؤلاء يشهون فى أحوالهم سكان القسطنطينية.

أما جنائزهم، فقد عنيت بملاحظة عاداتهم فى ذلك، فعندما يموت الزوج، تكشف المرأة رأسها و تحل شعرها و ترسله على أذنيها و تسود وجهها بسخام القدور و تصنع حركات غريبة تستثير ضحك الغرباء بدلا من دموعهم.

و يحضر جميع الأقارب و الأصدقاء و الجيران إلى دار الميت و يمكثون هناك إلى ميعاد تشييع الجنازة. و فى ذلك الوقت تتزاحم النسوة بألوف الوسائل السخيفة إلى إظهار حزنهن، و ذلك بلطم خدودهن، و العويل كالمجانين. و يبدأ فجأة بالرقص على صوت نقارة كالتى يحملها أصحاب الطبول و المزامير، و تبقى النسوة ينقرن عليها نحو ربع ساعة. و من جارى عاداتهم فى المآتم، أن تندب إحداهن الميت، فيجيبها الباقيات بعويلهن و ولولتهن التى تسمع من بعيد. و من العبث أن يحاول المرء مواساة أبناء الميت، لأنهم يبلغون حالا يفقدون معها رشدهم. و هم مضطرون إلى سلوك هذا السبيل، و إلا نالهم اللوم و التقريع، على عدم عطفهم على ذويهم الراحلين. و عند ما يحمل الجثمان إلى القبر، يتقدمه رهط من الفقراء حاملين الأعلام التى تنتهى عصيها من أعلاها بألهلة، و هم يندبون بألحان محزنة طول الطريق. و لا يباح للنساء مرافقة الجثمان، لأنه لا يخول لهن الخروج من الدار إلا فى أيام الخميس، حيث يقصدن الضريح للصلاة على الميت. و من عاداتهم أن النساء يذهبن صباح الأربعاء إلى الحمامات حيث يطيبن رؤوسهن و أبدانهن بالماء المعطر. و قد يخرجن أحيانا من الدار فى غير هذه المناسبات، و ذلك عندما يأذن لهن أزواجهن بزيارة أقاربهن. و لكن فى هذه الحالة، عليهن بالتستر من أعلى الرأس حتى أخمص القدم، حتى ليتعذر على ازواجهن أنفسهم تمييزهن إذا لاقوهن فى الطريق.

و نذكر فى هذا الصدد أن النساء الفارسيات، باستثناء الفقيرات منهن، يفضلن المكوث كل أيام حياتهن فى البيوت على الخروج بلا حصان. و هناك علامة تميز بها النساء البغايا من الحرائر، ذلك أن البغايا يضعن أقدامهن فى ركاب السرج، بينما الحرائر يدخلن أرجلهن فى جلد الركاب. و العادة الجارية بين نساء بغداد أنهن يكثرن من استعمال الحلى، إلا إنهن لا يكتفين بلبس الحلى حول أعناقهن أو معاصمهن بل يعلقنها أيضا حول وجوههن، و يثقبن آذانهن

لوضع الأقراط فيها. و المرأة العربية الريفية تثقب ما بين منخريها لتعلق «خزامة» فارغة لتخفف من الثمن و الثقل، و بعضها فى غاية الكبر حتى ليمكنك إدخال قبضة يدك فيها. و للمبالغة فى تجميل أنفسهن يكتحلن. و فى البادية يكتحل الرجال كالنساء، و قاية لعيونهم من وهج الشمس على ما يقولون.

و النصارى فى بغداد ثلاث فرق: النساطرة، و لهم كنيسة .

و الأرمن ، و اليعاقبة و ليس لهم كنيسة ، بل يصلون فى كنيسة الكبوشيين الذين يقيمون لهم الشعائر الدينية. و على نحو ربع فرسخ من المدينة بيعة للنصارى يقصدونها للتعبد، و هى باسم «خضر الياس» . و لكى يسمح لهم بزيارتها، يدفعون أجرة زهيدة للترك الذين بيدهم مفاتيح البيعة. و على مسيرة يومين من المدينة، بيعة أخرى خربة فى قرية حقيرة، يقول النصارى إن مار شمعون و مار يهوذا استشهدا هناك و دفنا فيها. و إذا توفى نصرانى، حضر جميع النصارى إلى حفلة دفنه، ثم يعودون إلى البيت، فيجدون الطعام معدا لهم.

و فى اليوم الثانى يعودون إلى القبر و يصلون على المتوفى، و فى اليوم الثالث يهيئون عشاء للغادى و الرائح، و قد يجتمع أحيانا فى أثناء الدفن نحو مائة

و خمسين شخصا. إن هذه الرسوم تتكرر أيضا فى السابع و الخامس عشر و الثلاثين و الأربعين بعد الوفاة، و هذا دليل على احترامهم العظيم للميت الذى يصلون من أجله مرارا. لكن هذه العادة التكريمية تكون عبئا ثقيلا على الفقراء الذين يميلون إلى تقليد الأغنياء فى هذا الشأن، فيرهقون كواهلهم بالديون أحيانا، و قد يبلغ بهم الأمر أن يضطروا إلى بيع أطفالهم للترك ليفوا ديونهم.

و فى بغداد عدد من اليهود أيضا. و يأتى كثيرون غيرهم فى كل سنة لزيارة مرقد النبى حزقيال الذى يبعد يوما و نصف يوم عن المدينة.

و بوجيز الكلام، إن بغداد منذ استيلاء السلطان مراد عليها لم يكن عدد نفوسها بأقل من خمسة عشر ألف نفس، مما يدل على أن المدينة لم تكن مأهولة بما يتناسب وسعة رقعتها.

و على مسيرة يوم و نصف يوم من نقطة ما بين النهرين، و ذلك في بقعة تكاد تتوسط ما بين دجلة و الفرات، تقع العين على مرتفع عظيم من التراب، يسميه الناس إلى هذا اليوم «نمرود»، يقوم في وسط سهل منبسط، و يرى من مسافة بعيدة. و يعتقد العوام أنه بقايا برج بابل، و لكن الأقرب إلى الإمكان هو ما يراه العرب الذين يسمونه عقرقوف (Agartouf) ، إذ يزعمون أن أميرا عربيا شيده، و كان يضع دائما مشعلا فوق قمته، ليستجمع رعاياه في بقعة واحدة أيام الحرب. و يبلغ محيط هذا المرتفع عند قاعدته نحو ثلاثمائة خطوة، و لكن ليس من اليسير التكهن بما كان عليه ارتفاعه القديم، لأن أعاليه قد انهارت و لم يبق منه غير ثماني عشرة أو عشرين قامة. إن هذا البرج مشيد باللبن، ضلع كل لبنة عشر عقد (انشات)، و ثخنها ثلاث. و يقوم البناء بالوجه التالي: فوق كل صف من العيدان أو القصب المسحوق المخلوط بتبن الحنطة المفروش بثخن عقدة و نصف، سبعة سافات من هذا اللبن، بين الساف و الآخر

رحلة الفرنسى تافرنييهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد – بشير فرنسيس، ص: ۶۴

تبن قليل. ثم يلي ذلك صف آخر من القصب و فوقه ستة سافات من اللبن. ثم صف ثالث مع خمسة سافات. و تقل السافات بهذا الوجه حتى تبلغ القمة.

و يلوح أن شكله الأصلي كان أقرب إلى المربع منه إلى المدور. و في أعلى قسم من بقيته ثقب لا أدري أكان نافذة أم مخرجا للماء أم ثقبا للسقالة.

و بالاختصار إنه بحسب وصف موسى ليس هناك ما يدل على أن هذا بقايا برج بابل القديم.

رحلة الفرنسى تافرنييهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد – بشير فرنسيس، ص: ۶۵

صورة مدينة بغداد يستغرق الطواف حول بغداد زهاء ساعتين

. رقعة المدينة.

. القلعة.

. باب المعظم.

. البرج الجديد.

. الباب الذي نصب عليه السلطان أول بطارياته المدفعية سنة ۱۶۳۸ م.

. البرج القديم.

. أحد أبواب السور (المعروف بالباب الوسطاني).

. البرج القديم.

. المكان الذي أقام فيه السلطان مراد ثاني بطارياته المدفعية حينما ثغر السور و استولى على المدينة.

. أحد أبواب السور (المعروف بباب الطلسم).

. البرج القديم.

. البرج القديم.

. قرة قاپي أو الباب الأسود (الباب الشرقي).

. البرج القديم.

. صوقاپي أو باب الشط.

رحلة الفرنسى تافرنييهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد – بشير فرنسيس، ص: ۶۶

خريطة بغداد نقلا عن رحلة ثافرنيه بترجمتها الانكليزية

رحلة الفرنسى تافرنييهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد – بشير فرنسيس، ص: ۶۷

الفصل الثامن اكمال الطريق من بغداد إلى البصرة و الكلام على ديانة الصابئة و هم نصارى يوحنا

في الخامس عشر من آذار، ركبنا سفينة من بغداد إلى البصرة(Balsara) فرأينا نهر دجلة أسفل بغداد، ينشطر شطرين: احدهما يجري في كلدية القديمة، و الآخر ينساب في ما بين النهرين. و هذان الشطران يشكلان جزيرة واسعة يخترقها ترع عديدة.

و عندما بلغنا منقسم دجلة، وقع نظرنا على رقعة مدينة، كانت فيما مضى واسعة النطاق، و لا يزال بعض أسوارها شاخصا، يمكن أن تسير فوقها ست عربات جنبا إلى جنب. و هذه الأسوار مشيدة بالآجر، يبلغ طول ضلع الآجرة الواحدة عشر أقدام، و ثخنها ثلاثا و تروى أخبار هذه البلاد، أن هذه هي خرائب بابل القديمة .

و قد اتبعنا في سيرنا ذلك الشطر من دجلة، الذي يجري و جانب كلدية، خشية الوقوع بأيدي الأعراب الذين كانوا في ذلك الحين في حرب مع باشا بابل ، لأنهم أبوا دفع الضريبة إلى السلطان. و قد تمادى بنا السفر على ظهر الماء من بغداد إلى البصرة عشرة أيام. و كنا في كل ليلة نرسو فوق الماء

رحلة الفرنسى تافرنييهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد – بشير فرنسيس، ص: ۶۸

و نتناول طعامنا في السفينة. و عند بلوغنا قرية ما، كنا نبعث بخدمنا إلى الضفة لشراء الطعام الذي نحصل عليه بقيمة زهيدة جدا. أما المدن التي مررنا بها فهي: العمارة (Amurat) و فيها قلعة مشيدة باللبن. و الشطرة(Satarat) .

و المنصوري(Mansoury) و هي بلدة كبيرة. و المجر(Magar) . و الغزير (Gazer) . و القرنة(Gorno) . و يقترن الفرات بدجلة عند هذه المدينة الأخيرة التي فيها ثلاث قلاع: الأولى في ملتقى النهرين و هي أحصنها، فيها يقيم ابن أمير البصرة الذي يحكمها. و الثانية في جانب كلدية. و الثالثة في جانب بلاد العرب. و مع أنه يطالب هناك بالرسوم الجمركية بتمامها فتدفع، فإنهم لا يفتشون أي شخص. و يصل مد البحر إلى هذا المكان. و لما كان أمامنا خمسة عشر فرسخا إلى البصرة، فقد وصلنا إليها بسبع ساعات لأن الريح و المد ساعدانا على ذلك.

تبعد بغداد عن البصرة مائة و ستين فرسخا، و كل الأراضي الممتدة بينهما تتشابك فيها القنوات و تقسمها على نحو ما يرى في البلاد الواطئة .

و لا شك ان هذه الأراضي من أحسن ما يمتلكه السلطان، لاشتمالها على مراع واسعة و مروج نضيرة يربى فيها عدد كبير من الحيوانات، خاصة الأفراس و الجواميس. و مدة حمل الجاموس اثنا عشر شهرا، و هي تدر حليبا وافرا جدا، حتى ان بعضها يدر اثنين و عشرين بنتا في اليوم، و تستخلص منه مقادير وافية من الدهن. و قد وجدنا ذات مرة في بعض قرى دجلة خمسا و عشرين سفينة موسقة بالدهن الذي يبيعه أصحابه في بلدان الخليج الفارسي، بكلا جانبيه العربي و الفارسي.

رحلة الفرنسى تافرنييهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد – بشير فرنسيس، ص: ۶۹

و في منتصف الطريق بين بغداد و البصرة، أبصرنا عدة سرادقات منصوبة في المروج بمحاذاة ضفة النهر. ولدى الاستفسار سمعنا ان الدفتردار آت من القسطنطينية لجباية ضرائب السلطان. فمن بغداد إلى القرنة يدفع عن كل رأس جاموس، ذكرا كان أم انثى، قرش و ربع قرش في السنة، فيقوم من ذلك للسلطان في السنة مائة و ثمانون ألف قرش. و على كل فرس يدفع قرشان، و على كل شاة عشرة سوات (Sous) . و لو لا تحايل أهل البلاد عند دفع الرسوم، لزاد مجموع الضرائب نحو خمسين ألف قرش عما هي عليه الآن.

ثم انتهينا إلى القرنة، و هي قلعة عند ملتقى النهرين، في كلتا جهتيها قلعة أصغر منها. و لا يمكن المرور من هناك بدون إذن. و في قلعة القرنة المزودة بمدفع، التقينا بابن أمير البصرة الذي كان حاكم القلعة. و هنا يسجل حساب الجمارك. و مع أن رجال الجمرك يمعنون في تحري السفن، فإنهم كثير و اللطف فلا يفتشون أي شخص. و عند قيامهم بهذا الواجب لا يهملون التفتيش عن البضائع المخبأة بين ألواح السفينة أو المغطاة بالحطب و العيدان.

و لموظفي الجمرك مثقب طويل يجسون به جوانب السفينة لاكتشاف ما قد يكون فيها من بضاعة مخبأة. إن البضاعة تسجل في القرنة، و لكن رسوم البصرة تدفع دائما في البصرة بحسب القائمة المعطاة من قلعة القرنة.

و في اليوم ذاته، دخلنا في القناة التي شقت من الفرات إلى البصرة، فلقينا في طريقنا رئيس المعمل الهولندي الذي كان يتنزه في قارب مغطى بالقماش القرمزي، فأخذني معه إلى البصرة.

و تقع البصرة في جانب بلاد العرب الصحراوية، على بعد فرسخين من خرائب مدينة كانت تدعى سابقا طريدون (Teredon) و كانت قديما تقوم في البادية و يأتيها الماء من الفرات من قناة مبنية بالآجر لا تزال ظاهرة للعيان.

رحلة الفرنسى تافرنييهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد – بشير فرنسيس، ص: ۷۰

و يبدو أنه كان عند هذه الخرائب مدينة كبيرة ، يقتلع منها العرب الآجر و يبيعونه في البصرة. و تبعد مدينة البصرة نصف فرسخ عن الفرات الذي يسميه العرب بلغتهم «شط العرب». و قد مد أهل المدينة قناة تذهب إليه، طولها نصف فرسخ، تسير فيها السفن من ذات المائة و الخمسين طنا، و في آخرها قلعة ليس لسفينة ما أن تجتاز المكان دون إذن منها. و يبعد البحر عن البصرة نحو خمسة عشر

فرسخا، إلا أن المد يأتى إلى القناة و يعم النهر مسافة خمسة عشر فرسخا أخرى صعدا إلى ما وراء القرنة. و الأرض هناك شديدة الانخفاض، و لو لا السدود الممتدة بامتداد حافة البحر، لتعرضت البقعة للغرق. و يبلغ طول السد أكثر من فرسخ، و هو مشيد بالحجارة تشييدا مكينا، لا تعمل فيه الأمواج الهائجة، بالرغم من كونه معرضا لبحر صاخب.

و لم يمض على البصرة أكثر من مائة سنة مذ كانت تابعة لعرب البادية، فلم يكن لها تجارة مع أمم أوروبا، لأن أهلها كانوا قانعين بأكل تمورهم التى تتوفر عندهم بمقادير كبيرة، و هم لا يتغذون بغيرها. و هذه الحالة فى المعيشة سائدة على ما وصفنا فى كلا ساحلى الخليج: فإذا سرنا من البصرة إلى نهر السند(Indus) و هى مسافة طولها ستمائة فرسخ، أو إذا سرنا و الساحل العربى إلى مسقط، وجدنا فقراء الناس لا يعرفون ما هو أكل الرز، بل يتعيشون بالتمر و السمك المملح المقدد بالهواء. و البقر عندهم لا تطعم عشبا، و إذا خرجت إلى الحقول لا تجد من الأعشاب إلا الشيء الزهيد، أو قد لا تجد شيئا منها.

و لهذا، فإن أصحابها صباح كل يوم، قبل أن يخرجوها إلى الحقول، و بعد أن يعودوا بها إلى الدار، يطعمونها رؤوس السمك و نوى التمر المسلوقين معا.

و عندما اشتبك الترك فى حرب مع العرب، أخذوا منهم البصرة، غير أن العرب لما كانوا يغيرون دوما على المدينة و ينهبون ما تناله أيديهم من غنائم و أسلاب، اضطر الترك إلى عقد اتفاق معهم، كان للعرب بموجبه حرية التنقل فى البادية إلى قيد فرسخ من المدينة، و على أن تبقى المدينة للترك. غير أن

هذا الاتفاق لم يدم طويلا، ذلك أنه كان فى وسط المدينة قلعة تعرف ب «حوش الباشا» (Aushel -Basha) أو ديوان الباشا. و قد بناها الترك. و لما كانت الحامية من الترك، و الأهلون من العرب الذين لم يطيقوا التحكم بهم.

فإن هؤلاء العرب كثيرا ما نازعوا الترك، و بلغ بهم الأمر إلى الضرب، فيبادر عرب البادية إلى نجدة الأهلين، و محاصرة الباشا فى القلعة. و أخيرا لما لم يمكن عقد اتفاق مثل هذا، لما يتوقع من انتهاز أحد الطرفين المتعاقدين الفرصة لنقضه، فإن على باشا الذى كثرت المنازعات و الثورات فى زمنه فأتعبته و أرهقته، قرر التخلص من هذا العبء، فباع حكومته بألف قرش لنبيل من أغنياء البلد. فعمد هذا من فوره إلى تجنيد عدد كاف من الرجال ليخشاه أهل البلد. ان هذا الرجل العظيم يسمى افراسياب باشا(Efrasiabs) و هو جد حسين باشا الذى كان حاكما لما مررت بها قبلا. لقد خلع افراسياب عنه النير التركى، و لقب نفسه بأمير البصرة. أما الباشا الذى باع حكومته، فإنه ما كاد يبلغ القسطنطينية حتى شنق. و بعد استيلاء مراد على بغداد، كان أمير البصرة يسره أن يتحفه دائما بالهدايا و الألطاف، و خصوصا بجياد الخيل التى تشتهر بها تلك البقعة. و عند ما استولى الشاه عباس الكبير على مدينة هرمز، أرسل جيشا قويا بقيادة إمام قولى خان، حاكم شيراز، للاستيلاء على البصرة.

و لما وجد الأمير نفسه أضعف من أن يقاوم هذه القوة الكبيرة، اتفق مع عرب البادية على كسر السد الذى يحجز ماء البحر. فلمّا فعلوا ذلك طغى ماء البحر و أغرق ما مسافته خمسة عشر فرسخا إلى البصرة بل أربعة فراسخ مما وراءها.

فاضطر الفرس الذين أحدق بهم الماء، و كان بلغهم خبر وفاة الشاه عباس، إلى رفع الحصار. و منذ هذا الغرق، أصبحت أراض و بساتين واسعة مغمورة بكليتها، أو ذات إنتاج زراعى ضئيل، للأملاح التى خلفها ماء البحر وراءه بعد انحساره عنها.

و صار للأمير علاقات بأمم أجنبية مختلفة، فأنى توجهت لقيت ترحيبا.

و يعم المدينة الطمأنينة و النظام. حتى ليمكنك أن تسرى طول الليل فى شوارعها دون أن يعترض سبيلك أحد. و يجلب الهولنديون إلى البصرة التوابل كل سنة، و يحمل إليها الانكليز الفلفل و شيئا من القرنفل. أما البرتغال فلا تجارة لهم معها و يجلب إليها الهنود نسيج قالقوط و النيل و شتى أنواع السلع. و بوجيز الكلام، أن فى البصرة تجارا من مختلف البلدان: من القسطنطينية و أزمير و حلب و دمشق و القاهرة و غيرها من الأصقاع التركية، يقصدونها لشراء مثل هاتيك البضائع التى ترد إليها من جزر الهند، فتحمل على الإبل المشتراة من هناك، و هى التى يبيعها عرب البادية فى المدينة. إن التجار الوافدين من ديار بكر و الموصل و بغداد و ما بين النهرين، يشحنون بضاعتهم بطريق الماء فى دجلة، إلا أن وراء ذلك تعبا منهكا و نفقات طائلة، لأن السفن التى يسيرها الرجال لا تتمكن من قطع أكثر من فرسخين و نصف فرسخ فى اليوم، و ليس بوسعها السير ضد الرياح، مما يضطرهم فى الغالب إلى اجتياز الطريق بين البصرة و بغداد بأكثر من ستين يوما، بل هناك من العقبات ما يطيل فى أمد سفرهم فوق الماء إلى ثلاثة أشهر.

و يستوفى الجمرك فى البصرة خمسة بالمائة و لكن موظفى الجمرك أو الأمير نفسه، يتكرمون على أصحاب البضائع عادة، فلا يتقاضون منهم أكثر من أربعة بالمائة. و مدخول أمير البصرة شيء كثير قد يبلغ ثلاثة ملايين ليرة فى السنة. و يتكون دخله من أربعة موارد: النقود، و الخيل، و الإبل، و النخيل. و المورد الأخير رأس ثروته لأن البقاع الممتدة من ملتقى النهرين حتى البحر، و هى مسافة ثلاثين فرسخا، مغطاة كلها بالنخيل. و لا يجسر أحد على لمس ثمرة واحدة منها ما لم يدفع عن كل نخلة ثلاثة أرباع الطويلة(Larin) أو تسعة سوات فرنسية. أما الربح الذى يحصله الأمير من النقود، فيرده بالوجه التالى: على التجار الذين يأتون من الخارج أن يحملوا ريالاتهم

إلى دار الضرب العائدة للأمير حيث تضرب و تحول إلى طويلات، و مدخوله من ذلك ۸ بالمائة. أما عن خيله فليس فى العالم ما يفوقها قابلية للسفر أو يزها فى جمال قوامها. و قد يقطع بعضها ثلاثين ساعة دون ما توقف، خاصة الأفراس منها. و لنعد الآن إلى النخيل فهى جديرة بالملاحظة.

فهناك أصول فنية فى إنماء هذا النخيل تختلف عن غيره من الأشجار. ذلك أن أهل تلك الديار يحفرون حفرة فى الأرض، يضعون فيها مقدارا كبيرا من التمر، بشكل هرمى و ينتهى رأس الهرم بنواة واحدة. ثم يوارى بالتراب فينتج منه النخيل . و يقول معظم السكان، إن من النخيل ما هو فحل و ما هو أنثى.

و عليه يجب غرسهما الواحدة بجانب الأخرى، و إلا فإن أنثى النخل لا تحمل ثمرا. و لكن غيرهم يؤكد أن هذه الطريقة ليست ضرورية و أنه يكفى عندما يطلع الفحل أن تأخذ طلعه فتضعه فى قلب (جمار) الأنثى، على بعد يسير من أعلى ساق النخلة، و إلا فإن الثمر يسقط قبل نضجه.

و فى البصرة قاض، عينه الأمير الذى يحكم هناك. و فى المدينة أيضا ثلاث فرق من النصارى: اليعاقبة و النساطرة و نصارى القديس يوحنا .

و فيها أيضا دار لمبعث الكرمليين الإيطاليين، و أخرى للرهبان الأغسطينيين(Austin) البرتغاليين. و لكنهم غادروا البلدة منذ انقطاع البرتغاليين عن المتاجرة معها.

و نصارى القديس يوحنا كثيرون جدا فى البصرة و القرى المجاورة لها،

و قد كانوا فى القديم يقطنون قرب نهر الاردن، حيث اعتمد مار يوحنا الذى نسبوا إليه. إلا أنه منذ زمن فتح محمد صلى اللّه عليه و سلم لفلسطين تعهد لهم بمنع التعرض لهم. و لكن خلفاءه عملوا على إبادتهم. و للوصول إلى هذه الغاية خربوا كنائسهم و أحرقوا كتبهم و استعملوا كل وسائل القسوة ضدهم ، فاضطرهم ذلك إلى الانتكاص إلى بلاد ما بين النهرين و كلدية، و بقوا مدة خاضعين لبطريرك بابل، ثم انفصلوا عنه منذ مائة و ستين سنة . ثم انتقلوا إلى فارس و بلاد العرب و المدن التى فى أنحاء البصرة مثل: شوشتر (Souter) ، و دسبول(Despoul) ، و رامز (Rumez) ، و الباطنة(Bitoum) ، و المناوى(Mono) ، و هندجان(Endecan) ، و خلف آباد (Calafabat) ، و الحويزة

، و الدجة (Dega) ، و الدورق (Dorech) ، و المعقل(Masquel) ، و كمار(Gumar) ، و الكاريان (Garianous) ، و البصرة(Balsara) ، و النازور(Onezer) و الزكية(Zech) ، و لوزا(Loza) . و هم لا يسكنون مدينة أو قرية لا يجرى فيها نهر. و قد أكد لى غير واحد من رؤساء دينهم أن هؤلاء النصارى يبلغون فى كل المواطن المذكورة أعلاه، نحو خمسة و عشرين ألف عائلة بينهم تجار، و لكن معظمهم من أصحاب الحرف خاصة الصياغة و النجارة و الحدادة. و عقيدتهم مشحونة بالخرافات و الأوهام، و يسميهم الفرس و العرب الصابئة، أى الشعب الذى ترك دينه و اعتنق دينا آخر أما هم فيسمون أنفسهم فى لغتهم الخاصة «مندائية يحيى» أى اتباع يوحنا، الذى منه، كما يؤكدون، استمدوا عقيدتهم و عنه تلقوا كتبهم و تقاليدهم. و يحتفلون فى كل سنة بعيد يدوم خمسة أيام، يذهبون فى أثنائها جماعات إلى رؤسائهم ليعمدوهم على غرار عماد مار يوحنا.

و هم لا يتعمدون إلا فى الأنهار، فى أيام الآحاد فقط. و قبل الذهاب إلى النهر يحملون الطفل المراد تعميده إلى معبدهم فيتلو فيه الكاهن، صلاة معلومة على رأس الطفل، و من ثمة يحملون الطفل إلى النهر و يرافقه رهط من الرجال و النساء. فينزل الجميع و معهم الكاهن حتى الركب فى الماء. ثم يقرأ الكاهن صلاة ثانية معلومة من كتاب يحمله بيده. و عند ذاك يرش الطفل بالماء ثلاث مرات قائلا بلغتهم ما معناه بالعربية «بسم الرب، أول و آخر العالم و الجنة، الخالق العالى لكل الأشياء». ثم يقرأ الكاهن صلاة أخرى فى

كتابه، بينما الاشيين (العراب) يغطس الطفل كله بالماء. و يعود الجمع بعدئذ إلى بيت أهل الطفل للاحتفال به.

أما أساقفتهم و كهنتهم، فإذا مات أحدهم و خلف ابنا، انتخبوا الابن مكان أبيه . و إن لم يكن له ابن اختاروا الذى يليه فى القرابة ممن هو أقدر و أعرف بأمور دينهم. و يصلى المنتخبون عدة صلوات على رأس المنتخب، فإن كان المنتخب أسقفا، يطوف بعد توليه منصبه لتعيين آخرين، و عليه أن يصوم ستة أيام يتلو فى أثنائها صلوات معلومة مكررة على رأس الكاهن المرسوم الذى يصوم أيضا و يصلى طوال المدة المذكورة. و لما كان الابن

رحلة الفرنسى تافرنيهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد – بشير فرنسيس، ص: ۷۷

يخلف أباه وجب على القول إن نصارى تلك الأنحاء، يتزوج أساقفتهم و كهنتهم كسائر الناس، غير أنه إذا توفيت زوجتهم الأولى، لا يباح لهم التزوج بأخرى ما لم تكن عذراء. هذا إلى أن من ينخرط فى سلك الكهنوت، يجب أن يكون من سلالة الأساقفة، و أمه يجب أن تكون عذراء حين زواجها. و يطيل أساقفتهم لحاهم، و يعلقون على صدورهم صليبا مثبتا بدبوس .

و فى الاحتفال بزواج ما، يذهب الأقارب و المدعوون مع العريس إلى بيت العروس، و يحضر الأسقف أيضا، فيسأل العروس التى تكون جالسة تحت مظلة عما إذا كانت عذراء؟ فإن كان الجواب بأنها كذلك، يطلب منها أن تؤيد ذلك باليمين، ثم يعود إلى الضيوف، فيبعث بزوجته مع نساء أخريات ماهرات لفحصها فإن وجدنها عذراء حقا، تعود زوجة الأسقف فتؤدى اليمين بصحة الأمر. و حينئذ يذهب الجميع إلى النهر، و يعيد الأسقف تعميد الاثنين المزمع عقد زواجهما. ثم يعودون إلى البيت، و يقفون فى الطريق قبيل وصولهم إليه، فيأخذ العريس بيد عروسه و يقودها سبع مرات من مكان الحشد إلى البيت و بالعكس، و الأسقف يتبعهم فى كل مرة، و يتلو صلاة معينة. ثم يدخلون الدار و يجلس العروس و العريس معا تحت مظلة، واضعا كل منهما ذراعيه قبالة الآخر. و يعود الكاهن إلى الصلاة طالبا منهما أن يحنيا رأسيهما معا ثلاث مرات، ثم يفتح كتابا فى عرافة المستقبل، ليستطلع أوفق يوم لعقد زواجهما فيخبرهما به . اما إذا لم تجد زوجة الأسقف العروس عذراء، فإن الأسقف لا يواصل مراسم الزواج. فإذا كان الشاب لا يزال راضيا بالفتاة، عليه أن يذهب إلى كاهن أوطأ درجة، ليقوم بالاحتفال. و لهذا، يرى الناس أن من العار الكبير عقد الزواج من غير حضور الأسقف. فإذا تمّ الزواج على يد الكاهن، كان ذلك دليلا على أن العروس ليست عذراء.

و بما أن الكهنة يعتبرون زواج المرأة و هى غير عذراء خطيئة كبيرة أيضا،

رحلة الفرنسى تافرنيهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد – بشير فرنسيس، ص: ۷۸

فإنهم لا يتزوجون من مثل هذه إلا اضطرارا و اجتنابا لما لا تحمد عقباه، إذ يؤدى ذلك أحيانا إلى اعتناقهم الدين الإسلامى. و سبب فحص العروس هو لكيلا يخدع الأزواج، و كذلك لإبقاء الفتيات متهيبات حذرات.

أما عقائدهم فى خلق العالم ، فيقولون إن الملاك جبرائيل أخذ على عاتقه خلق العالم على ما أمره الله به. فأخذ معه ثلاثمائة و ستة و ثلاثين ألف شيطان، و جعل الأرض خصبة للغاية، بحيث إذا زرعت فى الصباح حصدت فى المساء، و إن هذا الملاك علم آدم الغرس و الزرع و كل العلوم الأخرى اللازمة. و هذا الملاك صنع الكرات السبع السفلى، أصغرها يصل إلى مركز الكون بالوجه الذى عليه السماوات. و كلها مرسومة الواحدة فى داخل الأخرى، و هذه الكرات تختلف فى معدنها: فالأولى التى تلى المركز من الحديد، و الثانية من الرصاص، و الثالثة من الشبه، و الرابعة من النحاس، و الخامسة من الفضة، و السادسة من الذهب، و السابعة من التراب. و هذه الأخيرة تحتوى على جميع ما فى غيرها من مواد، و هى رأس الكل كما أنها أكثرها خصبا و ثمرا للإنسان و أوفقها لحفظ الجنس البشرى. أما الكرات الأخرى فالظاهر أنها صنعت لتحطيم البشرية. و يعتقدون أن فوق كل سماء ماء. و يستنتجون من ذلك أن الشمس تسبح فى سفينة فوق الماء، و أن صارى تلك السفينة صليب، و أن عددا كبيرا من الغلمان و الخدم يقودون سفينتى الشمس و القمر. و عدا ذلك، فعندهم صورة قارب يقولون إنه للملاك باكان(Bacan) الذى يرسله الله لزيارة الشمس و القمر و لرؤية ما إذا كانا يتحركان حركة صحيحة أم لا.

أما بخصوص العالم الآخر و الحياة الآتية ، فيعتقدون أن ليس من عالم

رحلة الفرنسى تافرنيهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد – بشير فرنسيس، ص: ۷۹

سوى ذلك يعيش فيه الملائكة و الشياطين، فتستقر معهم النفوس الصالحة و الطالحة. و فى ذلك العالم مدن و بيوت و كنائس. و للنفوس الشريرة أيضا كنائس تصلى فيها و ترتل و تحتفل بآلات الطرب، و هى تعيد كما فى هذا العالم. و حينما يدنو الإنسان من ساعة الموت، يأتى ثلاثمائة و ستون شيطانا و يحملون روحه إلى محل مليء بالثعابين و الكلاب و الأسود و النمور و الأبالسة. فإن كانت الروح لإنسان شرير، مزقته تلك المخلوقات إربا إربا، و إن كانت لانسان صالح، فإن الروح تزحف تحت بطون هذه المخلوقات إلى حضرة الله الجالس على كرسى جلاله لادانة العالم. و هناك أيضا ملائكة تزن أرواح البشر فى ميزان، فإن ظهر المرء صالحا تمتع بالمجد حالا. و هم يعتقدون أن الأبالسة رجال و نساء، و أنهم يتوالدون، و أن الملاك جبرائيل هو ابن الله، حبل به من النور، و أن له بنتا تدعى سوريت(Souret) لها ابنان. و أن بإمرة جبرائيل سبع فرق من الشياطين، هم بمثابة الجنود و رجال العدل، يبعث بهم من مدينة إلى مدينة و من بلدة إلى أخرى ليعاقبوا الأشرار.

أما عن الأولياء، فيعتقدون أن المسيح تلمذ اثنى عشر حواريا ليعظوا الأمم. و أن العذراء مريم ليست ميتة، إنما تحيا فى مكان ما فى العالم على الرغم من أنه ليس من يقول أين هى. ويليها مار يوحنا و هو أعظم أولياء الجنة.

ويليه زكرياء و إليصابات، و يروون عنهما كثيرا من الأعاجيب و الأقاصيص

رحلة الفرنسى تافرنيهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد – بشير فرنسيس، ص: ۸۰

المزيفة. لأنهم يعتقدون أن هذين أولدا يوحنا بالمعانقة فقط. و لما بلغ يوحنا مبلغ الرجال زوّجاه فولد له أربعة بنين، ولدوا فوق مياه الأردن. و هم يعتقدون أن يوحنا حينما ابتغى ابنا، صلى إلى الله، فسحب له واحدا من الماء. و هكذا لم يبق لمار يوحنا من علاقة مع زوجه إلا أن يعطيها الطفل لتربيه. و أن يوحنا مات ميتة طبيعية، و لكنه أمر تلاميذه أن يصلبوه بعد وفاته تشبها منه بالمسيح، و أخيرا يعتقدون بأنه مات فى مدينة فوستر (Fuster) ، و إنه دفن فى جدث بلورى جلب بأعجوبة إلى هذه المدينة، و أن قبره كان فى بيت ما قرب نهر الأردن.

و هم يكرمون الصليب تكريما بليغا، و يسمون أنفسهم به و يعنون كثيرا بإخفاء ذلك عن أعين الترك. و هم يقيمون حارسا على أبواب كنيستهم فى أثناء احتفالاتهم خوف أن يدخلها الترك فيفرضوا عليهم غرامة مجحفة. و بعد أن يفرغوا من تكريم الصليب يجعلونه قطعتين و لا يجمعون بينهما إلا لأداء صلاة ثانية.

إن تكريمهم الصليب بهذا الوجه، مستمد من كتاب عندهم عنوانه «الديوان» ورد فيه أن فى صباح كل يوم، يأخذ الملائكة الصليب و يضعونه فى وسط الشمس فيقتبس ضياءه منها على نحو ما يفعل القمر . و فى هذا الكتاب أيضا صورة سفينتين إحداهما تسمى «الشمس» و الأخرى «القمر» و فى كل من هاتين السفينتين صليب مزدخر بالأجراس، و إذا خلت السفينتان من صليب يضمحل النور من الشمس و القمر، و تتعرض السفينتان للغرق.

و أعظم أعيادهم ثلاثة: أحدها فى الشتاء، و مدته ثلاثة أيام، و هو لذكرى

رحلة الفرنسى تافرنيهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد – بشير فرنسيس، ص: ۸۱

أبوينا الأولين و خلق العالم. و الثانى يقع فى شهر آب و هو ثلاثة أيام أيضا، و يعرف بعيد مار يوحنا. و الثالث فى حزيران و مدته خمسة أيام، يكرر فيه الجميع تعميدهم. و هم يعطلون فى يوم الأحد فلا يعملون عملا فى ذلك النهار. و ليس لهم صوم و لا توبة روحية، و لا كتب منزلة، و لهم مما سواها غير كتاب لا يعالج غير السحر و هم يعتقدون أن كهنتهم فى غاية التمهر من هذا الأمر، و أن الأبالسة رهن إشارتهم. و عندهم أن النساء جميعا غير طاهرات، و أنه لا حق لهن مطلقا بدخول المعبد.

و لهم احتفال دينى يسمونه احتفال الدجاجة ، تجرى فيه حفلة كبيرة،

رحلة الفرنسى تافرنيهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد – بشير فرنسيس، ص: ۸۲

لا يقيمها إلا كاهن مولود من امرأة عذراء حين زواجها. فعند ذبح الدجاجة يخلع الكاهن رداءه المعتاد، و يضع عليه قطعة من الكتان، و يتزر بثانية، و يرمى بثالثة على كتفيه كالمنديل، ثم يأخذ الدجاجة و يغطسها فى الماء ليطهرها، ثم يتجه صوب الشرق و يقطع رأسها ماسكا بجسمها فى يده إلى أن يستنزف آخر قطرة من دمها. و فى أثناء انهراق دمها يرفع عينيه إلى السماء متولها. قائلا بلغته الكلمات التالية: «بسم الله. أرجو أن يكون هذا اللحم مفيدا لمن يأكله». و هم يتبعون ذلك عند ذبح الشاة، فيغسلونها بالماء و ينثرون عليها الأغصان. و يشترك أكثر من واحد من الناس فى هذه الحفلة، حتى لكأن الذبيحة قربان مقدس. و إن سألتهم لم لا يجوز شرعا للرجل العادى ذبح الطيور؟ أجابوك أنه لا حق له بالصلاة عليها، فكيف بذبحها؟ و هذا كل ما يمكن أن يذكروه لك من أسباب.

أما عن الخلاص فيقولون إن الملاك جبرائيل بعد أن سوى العالم بأمر الله، خاطب الله: «يا إلهى! انظر، لقد بنيت العالم كما أمرتنى، فأوقعنى ذلك فى مشقة كبيرة، و كذلك جهد إخوانى فى رفع هذه الجبال الشامخة التى تبدو كأنها تسند السماء. و من بإمكانه أن يشق طريقا للأنهار بين الجبال بلا أتعاب جمة، و يضع كل شيء فى المكان اللائق به: يا إلهى العظيم! بمعونة ذراعك القوية أقمنا دعائم العالم على نحو ما ترى، فلا يفكر البشر فى شيء ما إلا وجدوه فيه. و لكن عوضا عن الرضا و القبول اللذين نستحقهما بعد إنجاز هذا العمل العظيم، لم أجد إلا ما يحزن و يؤلم!». و لما طلب الله منه علة ذلك، أجاب الملاك جبرائيل: «يا إلهى و أبى! سأقول لك ما يؤلمنى. إننى بعد أن صنعت العالم، تنبأت أن سيلجه عدد هائل من اليهود و الترك (يقصد به غير المسلمين «البرابرة») أو من

عبدة الأصنام و غيرهم من الكافرين أعداء اسمك الذين لا يستحقون أن يأكلوا أو يتمتعوا بثمار جهدنا». فأجابه الله على هذا:
«لا يخامرنك الحزن يا بنى! سيسكن فى هذا العالم الذى بنيت نصارى القديس يوحنا الذين سيكونون أصدقائى، و سيخلصون جميعا». عندئذ عجب الملاك من كيفية تحقق ذلك فقال: «ماذا؟ ألا يقوم بين نصارى يوحنا خطاة كثيرون؟
و بالتالى ألا يصيحون أعداءك؟ «فختم الله كلامه معه بقوله: «فى يوم الدين»
رحلة الفرنسى تافرنيية إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۸۳
على الصالح أن يصلى لأجل الطالح، و هكذا يغفر لهم جميعا و ينالون الخلاص ».
و ينفر هؤلاء الصابئة من اللون الأزرق النيلى، بل لا يلامسونه قط، و سبب ذلك أن بعض اليهود حلموا بأن شريعتهم سيبطلها مار يوحنا فأخبروا مواطنيهم بالأمر. فلما فهم هؤلاء ذلك ورأوا أن مار يوحنا قد استعد لتعميد المسيح، بحثوا فى حالة غضبهم عن كمية كبيرة من النيل و رموها فى نهر الأردن. فتلوثت مياه النهر و بقيت غير طاهرة مدة، و كاد يتعرقل تعميد المسيح، لو لا أن الله أرسل ملائكته و معهم إناء للماء كبير أمرهم بملئه من نهر الأردن قبل أن يلوثه اليهود بالنيل. و كان من ثم أن الله لعن هذا اللون خاصة.
رحلة الفرنسى تافرنيية إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۸۵

الفصل الرابع (من الكتاب الثالث من الرحلة) الطريق الآخر من حلب الى توريز [تبريز] و هو المار بالجزيرة و غيرها من البلدان

من حلب إلى البيرة، حيث عليك عبور الفرات: أربعة أيام
و من البيرة إلى أورفا: يومان
و من أورفا إلى ديار بكر: ستة أيام
و من ديار بكر إلى الجزيرة: أربعة أيام
الجزيرة بلدة صغيرة من بلدان ما بين النهرين، تقوم على جزيرة فى نهر دجلة، يعبر إليها فوق جسر من القوارب، و يقصدها التجار لشراء العفص و التبغ. و يسوس المدينة رجل بلقب «بك».
و بعد عبور دجلة، ترى الأرض بين هذا النهر و تبريز سهولا و مرتفعات، و تكسو المرتفعات أشجار البلوط التى تحمل العفص و قليلا من البلوط. أما السهول فمزروعة بالتبغ الذى ينقل إلى تركيا، و له تجارة رائجة متسعة. و قد يتبادر إلى الذهن أن هذه البقعة فقيرة، إذ لا تقع العين إلا على العفص و التبغ، لكن الواقع ان ليس فى العالم أرض أخرى يتداول فيها بالذهب و الفضة بأكثر مما هنا، إذ إن أهلها يعنون حين تسلمهم النقود، بأن تكون كاملة الوزن، جيدة
رحلة الفرنسى تافرنيية إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۸۶
المعدن. إن العفص من المواد المستعملة عادة فى الصباغة، و ليس فى أية بقعة ما يدانيه جودة، فهو يدر أرباحا واسعة على هذه البلاد التى لا قرى فيها.
و ترى بيوتها متناثرة، يبعد الواحد عن الآخر مسافة رمية بندقية، و لكل من السكان رقعته من بساتين الكروم. و هم يجففون العنب إذ لا يعصرون منه خمرا.
و من الجزيرة إلى العمادية: يومان
و العمادية ، بلدة طيبة، و إليها يجلب أهل معظم بلاد آشور تبغهم و عفصهم. و هى تقع على جبل عال لا يمكن تسنم قمته بأقل من ساعة . و فى منتصف الطريق تنفجر من بين الصخور ثلاثة أو أربعة ينابيع يرتادها الأهلون بمواشيهم، و يملأون قربهم منها كل صباح، إذ لا ماء فى المدينة. و العمادية بلدة ليست بالكبيرة و لا بالصغيرة ، تتوسطها قيسارية كبيرة فيها دكاكين تضم كل أصناف التجار و البلدة بإمرة «بك»، بوسعه أن يجمع ثمانية أو عشرة آلاف فارس، و قوة من المشاة تفوق ما عند أى بك آخر، و ذلك لازدحام منطقته بالسكان.
و من العمادية إلى جولمرك(Giousmark) : أربعة أيام
و من جولمرك إلى ألبك(Alback) : ثلاثة أيام
و من ألبك إلى سلماس(Salmastre) : ثلاثة أيام
و سلماس بلدة لطيفة على حدود الآشوريين و الماذيين، و هى أول بلدة فى أراضى ملك فارس. و لا تحط فيها القوافل لأنها تشذّ عن الطريق بأكثر من
رحلة الفرنسى تافرنيية إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۸۷
فرسخ. و لما تحط فيها القوافل رحالها، يذهب اثنان أو ثلاثة من كبار التجار مع الكروان باشى يحسب العرف، لزيارة الخان(Kan) . و يسر الخان كثيرا أن تسلك القافلة هذا الطريق. و يخلع على الكروان باشى و على من برفقته خلعة تشريف، تتألف من كالات(Calaat) و عمرة(Bonnet) و منطقة(Girdle) و هذا غاية التشريف الذى يتفضل به الملك أو حكامه على الأجانب.
و من سلماس إلى تبريز: أربعة أيام رحلة الفرنسى تافرنيية إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس ؛ ص۸۷
لرحلة من حلب إلى تبريز تستغرق فى هذا الطريق اثنين و ثلاثين يوما و مع أن هذا هو أقصر السبل و أوفقها لقلة ما يدفع فى أثنائه من الرسوم، فإن التجار لا يجرؤون كثيرا على سلوكه خشية أن ينالهم سوء من معاملة البكات لهم.
شهريار (Cherijar) ولاية بين مازندران و منطقة الفرس القديمة المعروفة اليوم باسم
هراة(Hierac) ، و هى فى جنوب شرقى أصفهان. هواؤها طيب يختلف عن هواء جيلان.
و يقصدها الملك طلبا لنقاوة الهواء و التماسا للصيد، هذا إلى أن أشهى الثمار متوافرة فى كثير من أنحائها. و عاصمتها التى يسميها بعضهم باسم الولاية متوسطة السعة، ليس فيها ما يستحق الملاحظة. إلا أن على نحو فرسخ منها خرائب مدينة كبيرة كان محيطها فرسخين، و أقسام من السور قائمة، و رأينا جملة حروف منقوشة فى الأحجار التى كانت مثبتة فى السور، و لكن لا التركى و لا الفرس و لا العرب يتمكنون من قراءتها . و هذه المدينة مستديرة، تقع على تل عال فى قمته خرائب حصن يزعم الأهلون هناك أنه كان مسكنا لملوك فارس.
رحلة الفرنسى تافرنيية إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۸۹

الفصل الخامس (من الكتاب الثالث من الرحلة) الطريق من حلب الى اصفهان، مارا بالبادية الصغيرة و كنكور

اشارة

سأصف هذا الطريق كما لو كنت آتيا من أصفهان إلى حلب. فهو يمر بكنكور و بغداد و عانة، ثم يدخل البادية التى أسميها البادية الصغيرة، لأنه لا يمكن قطعها بوقت أقصر كثيرا مما تتطلبه البادية الكبيرة الممتدة جنوبا إلى بلاد العرب السعيدة، و بإمكانك أن تجد الماء غالبا فى البادية الصغيرة، لأن الطريق الذى يسلك لا يبعد كثيرا عن نهر الفرات. و من يحسن ركوب الخيل، قد يقطع الطريق من أصفهان إلى حلب فى ثلاثة و ثلاثين يوما كما فعلت أنا، بل قد يقطعها فى أقل من ذلك، إن كان الأعرابى الذى يرافقه من بغداد دليلا ماهرا عارفا أقصر سبل البوادى و القفار.
و تستغرق قافلة الخيل فى سفرها من اصفهان إلى كنكور أربعة عشر أو خمسة عشر يوما. أما إن كانت مؤلفة من رفقة قوامها عشرة أو اثنا عشر فارسا، فقد تقطعها فى خمسة أو ستة أيام. و الأراضى التى تسير فيها غابة فى الخصوبة، و فيرة القمح و الرز و الفواكه الفاخرة، و فيها الشراب الجيد، خاصة فى جهات كنكور، المدينة الكبيرة الكثيرة السكان.
تمادى بنا السير من كنكور إلى بغداد عشرة أيام، و البقعة ليست فى شىء من الخصب، بل إنها كثيرة الأحجار و الصخور فى بعض الأقسام، و فيها السهول و التلال الصغيرة. و لم أر جبلا ما فى هذا الطريق.
و إن كان المسافر مستعجلا، فأولى له أن يسلك الطريق التالى ذكره:
من اصفهان إلى خوانسار
و من خوانسار إلى قم(Comba)
رحلة الفرنسى تافرنيية إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۹۰
و من قم(Comba) إلى اورانكية(Oranguie)
و من اورانكية(Oranguie) إلى نهاوند
و من نهاوند إلى كنكور
و من كنكور إلى سنا(Sahna)
و من سنا إلى بوليشا(Polisha) أو القنطرة الملكية، و هى قنطرة كبيرة من الحجارة.
و من بوليشا(Polisha) إلى ماهى دشت(Mai Dacht)
و من ماهى دشت إلى هرون آباد(Eroun Abad)
و من هرون آباد إلى خانقين(Conaguy)

و من خانقين(Conaguy) [خانقين الإيرانية] إلى قصر شيرين(Casli Scirin) .

و من قصر شيرين إلى خانقين(lengui Conaguy) [خانقين العراقية].

و من خانقين إلى قزلرباط(Casered)

و من قزلرباط إلى شهربان(Charaban)

و من شهربان إلى بوهرز(Bourous)

و من بوهرز إلى بغداد.

و مدينة كنكور، قد يستعاض عنها أثناء السفر بمدينة همذان، و هي من أمهات المدن الفارسية على الطريق. و منها إلى توجرا(Touchere) و لكن الطريق أطول. و إذا سلكت الطريق التي بينتها، فإنك تترك همذان إلى الشمال على يدك اليمنى.

و بين ن

نظرك إلى أعماليه لا حظت صور رجال بملابس الكهنة، عليهم الأوشحة، و بأيديهم المجامر. على أنه ليس بين الأهلين من يخبرك بشيء عنها. بل و لا من يتصور

رحلة الفرنسى تافرنييهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۹۱

معنى هذه المنحوتات. و في حضيض الجبل نهر جار عليه قنطرة من الحجر.

و على مسيرة يوم فيما وراء الجبل، بلدة صغيرة ذات موقع جميل. إن الجداول التي تسقى هذه البلدة، و الفواكه الشهية التي تنمو في بساتينها، و الخمرة الفاخرة التي تصنع فيها، كل ذلك يجعلها من أطيب البقاع. و يعتقد الفرس أن الإسكندر لما رجع من بابل مات فيها، بالرغم من أن هناك من كتب أن الإسكندر مات في بابل . اما بقية الأراضي التي بين هذه المدينة و بغداد، فمغطاة بالنخيل، و يقيم الأهلون في خصاص صغيرة مصنوعة من سعف النخيل و جذوعه.

و من بغداد إلى عانة أربعة أيام على الظهر، و المسافة بينهما أرض صحراوية، على كونها بين نهرين.

و عانة، بلدة لا بالكبيرة و لا بالصغيرة، يسوسها أمير عربي. و إلى ما يقرب من نصف فرسخ حوالي البلدة، ترى الأرض مزروعة، زاخرة بالبساتين و البيوت الريفية. و المدينة في موقعها تشبه باريس، لأنها مبنية على جانبي نهر الفرات، و في وسط النهر جزيرة يقوم فيها مسجد بديع .

و من عانة إلى مشهد رحبة (Mached-Raba) خمسة أيام ركوبا. و من مشهد رحبة إلى الطيبة (Taiba) خمسة أيام أخرى.

و مشهد رحبة، حصن على مقربة من الفرات، يقوم فوق تل في أسفله عين ماء كأنها وعاء كبير، و مثل هذه العيون مما يندر وجوده في البوادي.

رحلة الفرنسى تافرنييهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۹۲

و البقعة محاطة بأسوار عالية، محصنة بأبراج، و في داخلها أكواخ صغيرة يأوي إليها السكان بمواشيهم التي يملكون منها شيئا كثيرا، غير أن الخيل فيها تفوق الأبقار كثرة.

و كذلك الحال في الطيبة، فإنها موضع محصن مبني في أرض ممهدة، تبدو كأنها دكة عالية من طين و لبن. و بالقرب من بابها، عين تنبع يصير منها ما يشبه البركة. و ترى أغلب سالكي هذا الطريق المار بالطيبة، هم الذين يجتازون البادية من حلب أو دمشق إلى بغداد، أو من دمشق إلى ديار بكر، بسبب وجود هذه العين هناك.

و من الطيبة إلى حلب مسيرة ثلاثة أيام، غير أن هذه الأيام الثلاثة هي أخطر مراحل الطريق، لكثرة من ينتابها من قطاع الطرق. و الواقع هو أن تلك البقعة لا يقطنها غير الرعاة أو البدو الذين لا دأب لهم سوى سلب الناس و نهبهم.

و الآن، لنأخذ الطريق ذاته من حلب إلى أصفهان، و هذا مسلكه:

يوم

من حلب إلى الطيبة ۳

و من الطيبة إلى مشهد رحبة ۵

و من مشهد رحبة إلى عانة ۵

و من عانة إلى بغداد ۴

و من بغداد إلى بوهرز ۱

و من بوهرز إلى شهربان ۱

و من شهربان إلى قزلرباط ۱

و من قزلرباط إلى خانقين ۱

و من خانقين إلى قصر شيرين ۱

و من قصر شيرين إلى خانقين (هي غير خانقين التي في العراق) ۱

رحلة الفرنسى تافرنييهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۹۳

يوم

و من خانقين إلى هرون آباد ۱

و من هرون آباد إلى ماهي دشت ۱

و من ماهي دشت إلى سنا ۱

و من سنا إلى كنكور ۱

و من كنكور إلى نهاوند ۱

و من نهاوند إلى اورانكية(۱ (Oranguie

و من اورانكية(Oranguie) إلى قم(۱ (Comba

و من قم(Comba) إلى خوانسار ۱

و من خوانسار إلى اصفهان ۱

فإذا أردت السفر من حلب إلى أصفهان، أو من اصفهان إلى حلب، كان من السهل عليك أن تقطعه ركوبا في ثلاثين يوما. و هذه الملاحظة توصلت إليها من أن رجلا قطع هذا الطريق، من الإسكندرونة بيومين زيادة عما ذكرت، فإن وجد المرء مركبا على أهبة الإقلاع إلى مرسيلية، و كانت الرياح موافقه له، فقد يتاح له السفر من أصفهان إلى باريس بشهرين.

و ذات مرة ذهبت من حلب إلى كنكور، و كذلك إلى بغداد، و منها اجتزت البادية. و قد التقيت في بغداد برجل اسباني كان آخذا الطريق نفسه الذي على أن أسلكه. فكان ذلك من حسن حظي، لأنه سيتحمل نصف نفقات الدليل، إذ حالما استخدمناه بأجرة ستين كراونا، رحلنا من بغداد، و كنا ثلاثة:

الأسباني، و أنا و الأعرابي الذي كان ماشيا، يسير على نحو رمية مسدس أمام خيلنا. و في طريقنا من بغداد إلى عانة لم نمر بشيء ذي بال، و لكننا رأينا فقط أسدا و لبوءة مجتمعين. و قد ظن دليلنا أننا كنا خائفين منهما، فأخبرنا بأنه قد صادفهما غير مرة و لم يبد منهما أي أذى.

أما صاحبنا الأسباني، بالرغم من نزعة المرح المشهورة بها أمته، فقد كان متزمتا، و كان يكتفي في إدامه ببصلة أو ما إلى ذلك من طعام زهيد، دون

رحلة الفرنسى تافرنييهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۹۴

أن يراعى دليله. بينما كنت أنا بعكس ذلك، فلا يمر يوم دون أن أنفح هذا الدليل بشيء ما. و لما كنا على رمية بندقية من عانة التقينا بشيخ طيب النفس، أقبل إلي و أخذ بلجام حصاني و قال: «أيها الصديق، هلم و اغسل قدميك، و كل خبزا في بيتي، فإنك رجل غريب، و بما أني لقيتك في الطريق فلا ترفضن هذا الطلب الذي أرجوه منك». إن دعوة هذا الشيخ لتشبه عادة الناس في الأزمنة القديمة، التي قرأنا أمثلة عديدة عليها في الأسفار المقدسة. و لم يكن منا إلا تلبية طلبه. فلما صرنا إلى بيته ألفيناه قد أعد لنا وليمة فاخرة، إذ ذبح لنا خروفا و دجاجا، كما أنه قدم لخيلنا علفا. لقد كان هذا الشيخ من سكان عانة، و هو يقيم عند النهر الذي كان علينا عبوره لتراجع الحاكم في أمر جوازاتنا التي دفعنا عن كل منها قرشين. و مكثنا في دار على مقربة من باب المدينة و اشترينا ما نحتاج إليه من طعام لنا و لخيلنا. و كانت لصاحبة الدار طفلة في التاسعة من عمرها، استهوتني بمرحها، فأهديت إليها منديلين من نسيج قالقوط المبرقش، فأرتهما الطفلة أمها، فأبت الأم حينذاك، أن تأخذ منا ثمن الطعام الذي أعطتنا إياه، بعد أن كنا قد اتفقنا عل ثمنه.

و على نحو خمسمائة خطوة من باب مدينة عانة، مررنا بشاب من أسرة كريمة، يرافقه خادمان، و كان راكبا حمارا مؤخرته مخضبة بالحناء. فدنا مني مسلّما، ثم قال: أمن الممكن أن ألاقي غريبا و ليس عندي ما أهديه إليه؟ لذلك حاول أن يأخذنا معه إلى بيته في الريف، بيد أننا أصررنا على المضي في طريقنا، فألح على حينذاك أن أقبل غليونه دون أن يلتفت إلى اعتذاري عن قبوله منه بكوني

لا- أدخن. فما كان لى إلا أن أقبله! و على نحو ثلاثة فراسخ من عانة، بينما كنا ذاهبين لنأكل بين أخربة بيوت و مفكرين بالمكوث هناك حتى منتصف الليل، أبصرنا أعرابيين جاءا من لدن الأمير، ليخبرانا بأن عنده رسائل يبغى تسليمها لنا لإيصالها إلى باشا حلب. فعدنا أدراجنا إلى عانة إذ لم يكن

رحلة الفرنسى تافرنية إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۹۵

بوسعنا أن نرفض الطلب. و لما وصلنا إلى المدينة فى اليوم الثانى، رأينا الأمير ذاهبا إلى الجامع ممتطيا صهوة جواد مطهم، يحف به رهط من الناس و جميعهم مشاة، مع كل منهم خنجر كبير مثبت فى حزامه. فلما رأيناه ترجلنا و وقفنا بحذاء الدور و سلمنا عليه حين مروره بنا. و ما إن وقع نظره على دليلنا حتى هدده بيقر بطنه قائلا: أيها الكلب! ستنال منى جزاء ذلك، و أعلمك درسا كيف تسفر الغرباء قبل أن أراهم. ثم قال خذهم إلى مقر الحاكم حتى أعود من الجامع. فلما عاد من الجامع و أخذ مكانه فى ردهة فسيحة، أرسل بطلبنا مع دليلنا الذى هدده مرة ثانية لخروجه بنا من المدينة دون علم منه. غير أن الحاكم استعطف الأمير و استرضاه، ثم أمر فجيء لنا بقهوة، و طلب فتح الخرجة التى نحملها على الخيول وراءنا لعل فيها ما يطيب له. لقد كان فى خرجى قطعتان من نسيج قالقوط ملونتان تلوينا بديعا، و غطاءان للفراش، و منديلان من نسيج قالقوط، و محبرتان فارسيتان مزوقتان بالمينا اليابانية، و سكينتان بزخارف دمشقية، إحداهما مطعمة بالذهب و الأخرى بالفضة. فكل هذه الأشياء أحبها و حملنى على إعطائها له. و لم يجد شيئا فى خرج الأسبانى غير ملابس عتيقة. و لكن بعد ذلك علمنا أن عند الأسبانى بعض قطع الماس، فعاقبه القنصل الفرنسى فى حلب، بأن يدفع لى نصف قيمة ما أعطيته للأمير فى عانة.

و اكتفى الأمير بما أخذه منى. و أمر بأن تزود بالطعام لنا و لخيلنا، إلا أننا، نظرا لتزودنا بذلك من ذى قبل، لم نأخذ غير ثلاث أو أربع حفنات من التمر الفاخر، لنبدى له أننا لم نرفض عطفه.

و على الدليل بين عانة و مشهد الرحبة، أن يعنى بوجه خاص بتنظيم مراحل سفرنا، و ذلك بأن نأتى مثلا إلى الآبار عند انبثاق الفجر، حذرا من الأعراب الذين يأتون إليها عند طلوع الشمس، فيتأذى المسافرون.

و قد رأيت فى مشهد الرحبة، أجمل فتاة وقع نظرى عليها فى حياتى، كان ذلك حينما أعطيت أعرابيا قرشا ليشترى لى به خبزا. و بذهابى لرؤية ما إذا كان قد خبز، وجدت الفتاة تضعه فى التنور. و لأنها كانت وحيدة فى الدار

رحلة الفرنسى تافرنية إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۹۶

أو مأت إلى بأن أتراجع. و قد رأيت هناك أيضا مهرا من صنف غريب دفع عليه باشا دمشق ثلاثة آلاف كراون.

و بوصولنا إلى الطيبة، لم ندخلها، بل نزلنا خارجها تحت سور، و لم يدخلها غير أعرابنا ليجلب التبن لجمالنا. و جاء اليه حاكم المدينة و طلب عشرين قرشا عن كل منا، و هى ضريبة قال إنها يجب أن تدفع له. و لما كنا نعلم أن الرسم لا يتعدى أربعة قروش، رفضنا دفع غيرها. و لكن الأعرابى الذى دبر حيلة على الأسبانى، غمزنى بعينه ألا أضطرب. ثم عاد الحاكم إلى البلدة و رجع إلينا ثانية و معه سلسلة حديد، و أكد لنا أنه سيأخذ الأسبانى إلى القلعة مكبلا، ما لم يدفع العشرين قرشا. أما أنا، فقد طلب إلى دفع أربعة قروش حسب المعتاد.

و عند اقترابنا من حلب، كان أول ما يجاور البادية، الأعراب و البدو، و ثانى هذه البيوت كان دار صديق لدليلنا، فسلمت حصانى إلى الدليل الذى ابتاعه منى بإلحاحه الشديد ثم إنى كنت قد قررت أن أذهب ماشيا إلى حلب تخلصا من دفع الكمرك على رزمة فيروز كانت عندى، وضعتها فى أكياس كانت خلف حصانى، و رميت الأكياس الصغيرة فى حقيبة كأنها أشياء لا خطر عليها. و طلبت من صاحب البيت أن يحفظها يوما أو يومين. فقال لى الأعرابى إنها حتى إن كانت كلها ذهبا فلا خوف عليها. و فى الواقع، لما بعثت بطلبها بعد يوم أو يومين لم أر واحدة مفقودة.

(ملاحظة: بهذا ينتهى حديث تافرنيه فى رحلته العراقية)

رحلة الفرنسى تافرنية إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۹۷

الملاحق

الملحق رقم (۱) (راجع الصفحة ۱۹، الحاشية ۱)

قد يكون هذا القصر الكبير الذى اكتشفه تافرنيه (خان العطشان) و هو بناء قديم، ترى اطلاله و رسومه فى البادية، غربى الفرات، على نحو من ثلاثين كيلومترا من جنوب غربى كربلاء و هو- على حد وصف رحالتنا- مبنى بالآجر، و ما زالت كثير من جدرانه و أقواسه و بعض عقاداته ترى إلى يومنا هذا، و إن كانت قد تشعثت و تصدعت. و الذى نميل إليه، أن لهذا البناء صلة بالموقدة (الموجدة) و هو منار يبعد عنه مسيرة ساعتين إلى الشمال الغربى. إن هذه المبانى التى ترى بقاياها منثورة فى طف البادية، كانت فيما مضى مسالح و معاقل و حصونا و مناور للدولة الفارسية تقيها شر هجمات دولة الروم. و قد وصفت الآنسة جرترود بل خان العطشان، وصفا أثريا دقيقا فى كتابها الموسوم:

G. L. Bell: Palace and mosque at Ukhaidir(Oxford, ۴۱۹۱, pp. ۱۴- ۳۴)

و عنيت بتخطيط البناء و تصوير بقاياه فى اللوحات ۴۶- ۵۲ من الكتاب المذكور، أما أصل البناء و تاريخه فلم تتطرق المؤلفة إلى ذكرهما.

الملحق رقم (۲) (راجع الصفحة ۲۰، الحاشية ۲)

قال الشيخ جعفر آل محبوبة فى كتابه «ماضى النجف و حاضرها » (ص ۱۲۹) أن الشاه عباس الأول لما جاء إلى النجف لزيارة أمير المؤمنين (ع)

رحلة الفرنسى تافرنية إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۹۸

سنة ۱۰۳۲» أمر بتنظيف النهر الذى حفره الشاه اسماعيل، فحفر و عمر و جرى الماء فيه حتى دخل مسجد الكوفة كما فى المنتظم الناصرى ج ۷ ص ۱۷۷.

و هذا النهر كان فى أرض سهلة لا تعلو كثيرا، حتى انتهى إلى الكوفة فجاء الحفر كما أراد، و هو المعروف اليوم (بنهر المكرية) و هو ليس إلا- تلالا- و آكاما و آثار مساجد، درسها ما انهال عليها من الرمال. و لما لم يكن بالإمكان وصول الماء إلى النجف فى نهر مكشوف من الكوفة، بنيت قناة أخرى غير قناة نهر الناجية و غير قناة نهر الشاه. موقع هذه القناة شرقى بلدة النجف، و هى التى تسمى بقناة الفرع كما عن البراقى. و قد انضم جميع عسكره إلى العمال و بذلوا تمام الهمة و الجهد لهذه الخدمة حتى اكملوه و بنوه أحسن بناء و جعلوا له مجرى إلى الروضة المقدسة و صنعوا له بركة يتزلون فيها و يستقون».

و للوقوف على التفاصيل الوافية فى مياه النجف، راجع:

۱- كتاب ماضى النجف و حاضرها (ص ۱۲۲- ۱۴۱)

۲- الماء فى النجف (لغة العرب ۲ [۱۹۱۳] ص ۴۵۷- ۴۶۲)

۳- ماء النجف فى القرون الأخيرة و نهر الهندية: ليعقوب سركيس (الاعتدال ۴ [النجف ۱۹۳۶- ۱۹۳۷] ص ۱۰۰- ۱۰۴، ۱۶۳- ۱۶۹).

الملحق رقم (۳) (راجع الصفحة ۲۲، الحاشية ۲)

الطويلات، واحدتها الطويلة و بالافرنجية(Latin) ضرب النقود المعدنية، كان متخذا فى بعض الأنحاء من شرقى جزيرة العرب، كالأحساء و القطيف و غيرهما. و قد بطل استعمال هذه النقود. و لتافرنيه كلام عليها فى حديث رحلته. و للوقوف على وصفها و قيمتها، راجع:

palgrave: narrative of a year`s journey through central and eastern arabia, ۲۶۳۱- ۳۶(vol. ۲, london, ۶۶۳۱, pp. ۹۷۱- ۰۸۱).

cheesman: unknown arabia(london, ۶۲۹۱, pp. ۲۰۱- ۳۰۱)

و دائرة المعارف الإسلامية، مادة «طويلة» للمستشرق آلان(j. Allan)

رحلة الفرنسى تافرنية إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۹۹

الملحق رقم (۴) (راجع الصفحة ۲۹ الحاشية ۲)

هى جزيرة كريت، التى عرفت عند العرب الأقدمين باسم «أقريطش» أما «كاندى» فمشتقة من لفظة عربية، أصلها «الخندق»(Khandax) و هى عاصمة الجزيرة. كانت جزيرة كريت من جملة المواطن التى وفق العرب لفتحها، بعد ان توالت عليها غزواتهم البحرية منذ زمن معاوية سنة ۵۴ ه، ثم فى زمن الوليد، و الرشيد، و المأمون حيث تم فتحها فى زمنه سنة ۲۱۰ ه على يد أبى حفص عمر بن عيسى الأندلسى المعروف بالاقريطشى. و لكن الروايات مختلفة فى زمن فتحها، فقيل إنها فتحت سنة ۲۵۰ ه، و قيل

قبلها، و قيل بعدها. و كانت كريت لما احتلها العرب قسما من الامبراطورية البيزنطية، فبنوا فيها مدينة دعوها «الخندق» و قد ظلت جزيرة كريت بيد العرب زهاء مائة سنة، حيث استعادها منهم البيزنطيون سنة ۳۴۹ ه (۹۶۰ م) بعد محاولات عديدة.

الملحق رقم (۵) (راجع الصفحة ۳۳ الحاشية ۲)

الملوك الذين حكموا هذه البقعة مما بين النهرين، و عرفوا باسم أبجر، يبلغون ۲۹ ملكا، كانت عاصمتهم أدسا (و تعرف باسم الرها، ثم أورفا). و دام حكم هؤلاء الأباجرة خلال القرن الأول قبل الميلاد و القرن الأول بعده. و وفقا للمرويات القديمة، فإن أحد هؤلاء الملوك، و لعله أبجر الخامس المعروف باسم «أو كاما» أى الأسود، كان قد أصيب بالبرص، فبعث برسالة إلى يسوع، معترفا بألوهيته، ملتمسا مساعدته، طالبا إليه المجيء إلى بلاده. و لكن يسوع كتب إليه كتابا تمنع فيه من الذهاب إليه، و وعده بأنه بعد صعوده إلى السماء يبعث إليه بأحد حواريه. و قد روى المؤرخ اسابيوس القيصرى فى تاريخه الكنسى (۱:

۱۳) أن ذلك قد تم بالفعل، فإن يهوذا بن ثداوس، أرسل إلى ذلك الملك سنة ۲۹ للميلاد. أما الرسائل المتبادلة بين المسيح و أبجر، و ما دار حولها من حكايات، فقد نشرت بنصها السريانى، و ترجمتها العربية فى ديار الغرب.

رحلة الفرنسى تافرنيهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۱۰۰

الملحق رقم (۶) (راجع الصفحة ۳۷ الحاشية ۱)

سائح ايطالى، يعد فى طليعة الرحالين الأوروبيين إلى بلدان الشرق ولد سنة ۱۵۸۶ م، و ساح سياحة واسعة استغرقت خمس سنين (۱۶۱۶- ۱۶۲۱ م) زار خلالها بلاد آشور و بابل و فارس و الأصقاع المجاورة، و ألم ببعض اللغات الشرقية. و كان فى طوافه فى أرض العراق، عنى عناية خاصة بفحص أخربة كثير من المدن القديمة، كبابل و أور و غيرهما. كما أنه فى تجواله فى إيران فحص بقايا تخت جمشيد و نقش رستم و برسوليس و لم يكن دلاقاله سائحا فحسب، بل كان عالما أثريا، واقفا على ما ورد بصدد الآثار الشرقية فى التوراة و فى المراجع الإغريقية. و هو أول من نقل إلى أوروبا صفائح الآجر المنقوش عليها بالخط المسمارى، و جعل لها شهرة بين الأوروبيين، مع كونه لم يفقه شيئا منها. إن حديث تنقلاته فى الشرق أودعه فى رسائل بالإيطالية بعث بها إلى صديقه شيانو(Mario Schipano) استاذ الطب فى نابولى. و قد طبع بعدئذ فى مجلدين، بعنوان:

Viaggi di Pietro della Vallie il Pellegrino da lui Wedesimo in Lettere familiari.

و قد ظهرت طبعتها الأولى سنة ۱۶۵۲ م، ثم طبعت طبعة حسنة سنة ۱۸۴۵ فى مجلدين. إن هذه الرحلة نقلت بكاملها إلى الفرنسية و طبعت سنة ۱۶۶۲- ۱۶۶۳ و نقل ما يخص بلاد الهند إلى الإنكليزية، و طبع سنة ۱۶۶۵ م.

و نقل المطران جرجس دلال (مطران الموصل الحالى)، بعض ما يخص بلاد العراق إلى العربية، و طبعه فى «نشرة الأحد التى كانت تصدر فى بغداد (المجلد الأول الصادر سنة ۱۹۲۲).

و كان تافرنيه حين إقامته ببغداد، قد تزوج بنصرانية كلدانية اسمها «معانى» أصلها من ماردين و قد رافقته فى رحلته إلى بلاد فارس، و توفيت سنة ۱۶۲۱ م و نقل رفاتها معه إلى روما و دفنها هناك. و كان قد رثاها، و نشر هذا الرثاء فى حياته فى البندقية سنة ۱۶۲۷ م و كانت وفاة دلاقاله سنة ۱۶۵۲.

رحلة الفرنسى تافرنيهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۱۰۱

الملحق رقم (۷) (راجع الصفحة ۴۰ الحاشية ۱)

لعل المؤلف أراد بها «قنطرة أسكى موصل» التى يرى منها اليوم طاق واحد قائم على وادى المر، على بعد نحو ميلين من غرب قرية أسكى موصل، و هذه تبعد نحو ۴۰ كيلو مترا من شمال غربى مدينة الموصل، و تقع على ضفة دجلة اليمنى. و يجاور هذه القرية خرائب مدينة كبيرة لا يزال فى طرفها الشمالى خان مربع يقوم على تل يبطن بقايا مدينة واغلة فى القدم.

و قد تفضل الأستاذ فؤاد سفر، بالتبذة التالية، قال: «أقدم ما انتهى إلينا من أخبارها يرتقى إلى ما قبل الألف الرابع قبل الميلاد. (راجع مجلة Iraq (Vol ۵, ۸۳۹۱, P. ۴۳۱ و ورد فى مدونات الملك الأشورى سنحاريب: تقع مدينة بلط فى البقعة القريبة من نينوى، و فيها تكثر حجارة الحلان و المرمر (راجع كتاب:(۹۴۳, P, ۱. Vol .Assyr .u .Bab :Meissner

و يقول سدنى سمث إن بلط تقع على نحو سبعة فراسخ من نينوى و إن اسمها الحديث اسكى موصل (راجع:Cambridge Ancient History ,Vol .lll ,p. ۶۷.

و حرّف اسم بلط فى العصر الإسلامى، فعرفت باسم «بلد» التى كانت لا تزال عامرة آنئذ فقد ذكر ياقوت و هو من أهل القرن السابع للهجرة (معجم البلدان ۱: ۷۱۵ طبعة و ستنفلد): ان «بلد، و ربما قيل لها بلط، بالطاء، ...

مدينة قديمة على دجلة فوق الموصل، بينهما سبعة فراسخ ...».

«و لقد عثر داخل الأقبية على عدد من المسكوكات الأتابكية تعود إحداها إلى قطب الدين مودود. و لعلنا نستطيع اعتمادا على هذه المسكوكات أن نعتبر الأقبية العديدة و السور الذى من حولها من المنشآت الأتابكية» انتهى كلام الأستاذ سفر.

أما الطاق القائم اليوم، فربما كان الطاق الأكبر فى هذه القنطرة التى زالت معالمها، و يبلغ ارتفاعه الحالى ۱۲ مترا فوق مستوى ماء الوادى فى الربيع (فى موسم الفيضان). و عرض فتحة الطاق، بحسب مستوى الأرض

رحلة الفرنسى تافرنيهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۱۰۲

الحالى ۵۰، ۲۲ مترا. أما الطاق فمبنى بالحجارة الكبيرة المهندمة و على بعضها حروف يحتمل أن تكون يونانية. و فى وجه الطاق كتابة عربية منقورة هذا نصها «عمل حسن بن محمد الجزرى رحمه الله». و يرجح أنها كتبت بعد إنشاء القنطرة بزمن.

و قنطرة أسكى موصل، تذكرنا بقنطرة أخرى تعرف اليوم باسم «جسر كسك كوبرى» المقام فوق ماء الكسك الآتى من «أبو مارية» الذى يصب فى دجلة عند قرية اسكى موصل، و تبعد هذه القنطرة نحو ۴۵ كيلو مترا عن الموصل و لم يبق منها غير طاقين و بقايا ثالث.

فلعل المؤلف مر بهذه القنطرة أو بتلك.

الملحق رقم (۸) (راجع الصفحة ۴۱ الحاشية ۱ و ۴)

اشارة

هذا ما كان من أمر الموصل فى أيام تافرنيه، و هى حال لا تدل إلا على ما بلغته هذه المدينة من تأخر فى ذلك العصر. و بهذه المناسبة، يجدر بنا أن نذكر هنا نبذا من أقوال بعض الكتبة و البلدانيين من العرب الأقدمين، ليقارن القارئ بين ما كانت عليه فى أيام أولئك، و ما صارت إليه فى أيام تافرنيه.

قال ابن حوقل (و هو من أبناء المائة الرابعة للهجرة) فى وصف مدينة الموصل (راجع: كتاب صورة الأرض لابن حوقل، ص ۲۱۴- ۲۱۵ طبعة كريمرز): «و أما الموصل، فمدينة على غربى دجلة، صحيحة التربة و الهواء ... و لما ملك بنو حمدان و رجالهم غرسوا فيها الأشجار و كثرت الكروم و غزرت الفواكه و غرست النخيل و الخضر. إن للموصل أضعاف أعمال نصيبين فى فسحة الأعمال و كثرة الضياع و عظم المحال و غزر السكان و أهل الأسواق، إذ كانت أسواقها واسعة و أحوالها فى الشرف و الفخامة ظاهرة، و كان فيها كل جنس من الأسواق الاثنان و الأربعة و الثلاثة مما يكون فى السوق المائة حانوت و زائد. و بها من الفنادق و المحال و الحمامات و الرحاب و الساحات و العمارات ما دعت إليها سكان البلاد النائية فقطنوها ...».

رحلة الفرنسى تافرنيهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۱۰۳

و قال البشارى المقدسى (و كان حيا سنة ۳۷۵ ه) فى كتابه «أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم» (ص ۱۳۸ طبعة دى غويه) فى عرض كلامه على الموصل إنها «بلد جليل، حسن البناء، طيب الهواء، صحيح الماء، كبير الاسم، قديم الرسم، حسن الأسواق و الفنادق ... و له منازه و خصائص و ثمار حسنة و حمامات سرية و دور بهية».

و من طريف ما ورد فى وصف الموصل، ما ذكره الرحالة الشهير ابن جبير (المتوفى سنة ۶۱۴ ه) قال (ص ۲۳۵ من طبعة دى غويه): «و للبلدة ربض كبير فيه المساجد و الحمامات و الخانات و الأسواق، و أحدث فيه بعض أمراء البلدة، و كان يعرف بمجاهد الدين، جامعا على شط دجلة، ما أرى وضع جامع أحفل منه بناء يقصر الوصف عنه و عن ترتيبه و ترتيبه، و كل ذلك نقش فى الآجر. و أما مقصورته فتذكر بمقاصير الجنة، و يحيط به شبابيك حديد تتصل بها مصاطب تشرف على دجلة لا مقعد أشرف منها و لا أحسن، و وصفه يطول و إنما وقع الإلماع بالبعض جريا إلى الاختصار.

و أمامه مارستان حفيل من بناء مجاهد الدين المذكور. و بنى أيضا داخل البلد و فى سوقه قيسارية للتجار كأنها الخان العظيم تنغلق عليها أبواب حديد و تحيط بها دكاكين و بيوت بعضها على بعض قد جلى ذلك كله فى أعظم صورة من البناء المزخرف الذى لا

مثیل له، فما أری فی البلاد قیساریة تعدلها.

و للمدینة جامعان أحدهما جدید و الآخر من عهد بنی أمیة ... و فی المدینة مدارس للعلم نحو الست أو أزید علی دجلة فتلوح کأنها القصور المشرفة، و لها مارستانات عدا التی ذکرنا فی الربض ..».

و وصفها یاقوت الحموی (المتوفی سنة ۶۲۶ ه) فی «معجم البلدان» (۴: ۶۸۲ - ۶۸۴ طبعة و ستنفلد) بقوله إنها المدینة المشهورة العظیمة، أهدی قواعد بلاد الإسلام، قلیلة النظیر کبرا و عظما و کثرة خلق وسعة رقعة ... فأما أبنیتهم فهی حسنة جیدة وثیقة بهیة المنظر، لأنها تبنی بالنورة و الرخام ... و لا یکاد یستعملون الخشب فی سقوفهم».

و أشار القزوینی (المتوفی سنة ۶۸۲ ه) إلی مدینة الموصل بقوله (آثار

رحلة الفرنسی تافرنییة إلی العراق/ تعریب کورکیس عواد - بشیر فرنسیس، ص: ۱۰۴

البلاد و أخبار العباد. ص ۳۰۹ طبعة و ستنفلد) «بها أبنیة حسنة و قصور طیبة علی طرف دجلة».

و فی تقویم البلدان (ص ۲۸۵ من طبعة باریس) لأبی الفداء وصف موجز للموصل ورد فیه قوله «... و لها سوران قد خرب بعضهما، و سورها أکبر من سور دمشق، و العامر فی زماننا نحو ثلثیها، و لها قلعة من جملة الخراب».

و ممن زار هذه المدینة من رحالی العرب، ابن بطوطة «المتوفی سنة ۷۷۷ ه) فوصفها بقوله (تحفة النظار: ۱۳۴- ۱۳۵ طبعة باریس) إنها «مدینة عتیقة کثیرة الخصب، و قلعتها المعروفة بالحدباء عظیمة الشأن شهیرة الامتناع، علیها سور محکم البناء مشید البروج، و تتصل بها دور السلطان و قد فصل بینهما و بین البلد شارع متسع مستطیل من أعلی البلد إلی أسفله. و علی البلد سوران اثنان وثیقان، أبراجهما متقاربة. و فی باطن السور بیوت بعضها علی بعض مستدیرة بجدارة، و قد تمکن فتحها فیه لسعته. و لم أر فی أسوار البلاد مثله إلا السور الذی علی مدینة دهلی حضرة ملک الهند».

فإذا انتقلنا إلی الرحالین الغربیین الذین زاروا الموصل، بعد ابن بطوطة، وجدنا فی طلیعتهم الرحالة راولف(Rawolf) الإنکلیزی المتوفی سنة ۱۵۹۶ م فقد وصفها بقوله:

«دخلنا مدینة الموصل بعد أن عبرنا فوق جسر من القوارب .... تقع الموصل فی بلاد الکرد ... و هی کسائر البقاع المجاورة تابعة للامبراطور الترکی و فیها بعض المبانی الفخمة و الشوارع الحسنة. و هی واسعة نوعا ما، إلا أن أسوارها و خنادقها لیست علی ما یرام علی ما لاح لی من أعلی مقامنا ...»

(راجع:(Rawofl :Travels ,Ray's Collection ,p. ۴۰۲

*** سور الموصل:

یحدثنا التاریخ أن للموصل سورا مکینا یحیط بها و یمنع عنها هجمات العدو، و إن هذا السور جدد غیر مرة، کانت الأخیرة سنة ۱۱۵۶ ه (۱۷۴۳ م)

رحلة الفرنسی تافرنییة إلی العراق/ تعریب کورکیس عواد - بشیر فرنسیس، ص: ۱۰۵

و لکن هذا السور الذی کان یبلغ طوله نحوا من عشرة آلاف متر، قد امحی أثره الیوم أو کاد، و لم یبق منه إلا قطع صغیرة. لقد کان هذا السور محفوفا من خارجه بخندق عمیق یستمد ماءه من دجلة عند اقتضاء الحال. و کان لسور الموصل عدة أبراج، و أحد عشر بابا لکل منها اسم یعرف به. و إذ کانت هذه الابواب قد ذهب أمرها بذهاب السور ذاته، رأینا من المفید أن نذکر فیما یلی أسماءها حفظا للتاریخ:

باب الجسر. باب القلعة. الباب الصغیر. الباب العمادی (و یقال له باب الوباء) باب سنجار. باب البیض. باب العراق. الباب الجدید. باب لکش.

باب السرای. باب الطوب.

إن الأبواب الثلاثة الأولی کانت تطل علی دجلة. و البقیة علی البر.

الملحق رقم (۹) (راجع الصفحة ۴۳، الحاشیة ۱)

یرید به «تل النبی یونس» و قد عرف فی المراجع العربیة بتل توبة.

راجع: معجم البلدان (مادة: تل توبة)، و الکامل فی التاریخ لابن الأثیر (۸: ۴۳۸ و ۴۳۹، ۹: ۴۰۳، ۱۱: ۷ طبعة ترنبرغ)، و رحلة ابن جبیر (ص ۲۶ طبعة دی غویه) و قد سماه ابن بطوطة فی رحلته (۲: ۱۳۶ طبع باریس) بتل یونس.

أما «المسجد» فقد مرت به أطوار تاریخیة جدیرة بالذکر. فبقعته فی الأزمنة التی سبقت المیلاد کانت «معبدا أشوریا» تعبد فیه الاصنام. و بانتشار النصرانیة فی بلاد العراق، صار ذلک المعبد «دیرا» عظیما، تسمیه المراجع العربیة باسم «دیر یونان» أو «دیر یونس» و بانتشار الإسلام فی العراق صار ذلک الدیر جامعا باسم «جامع النبی یونس».

الملحق رقم (۱۰) (راجع الصفحة ۴۳ الحاشیة ۲)

هذا هو دیر مار جرائیل (کبریل) المعروف فی المصادر العربیة بالدیر

رحلة الفرنسی تافرنییة إلی العراق/ تعریب کورکیس عواد - بشیر فرنسیس، ص: ۱۰۶

الأعلی، و هو من أشهر الدیارات النصرانیة و أعظمها شأنا وصفه الشابشتی بقوله إنه «دیر بالموصل، یطل علی دجلة، و هو کبیر عامر و فیه قلایات کبیرة لرهبانه، و له درجة منقورة فی الجبل یفضی إلی دجلة نحو المائة مرقاة و علیها یستقی الماء من دجلة» وزاد یاقوت (معجم البلدان، مادة: الدیر الأعلی) علی وصف الشابشتی قوله انه «یضرب به المثل فی رقة الهواء و حسن المستشرف و یقال إنه لیس للنصاری دیر مثله، لما فیه من أناجیلهم و متعبداتهم».

و لکن ذلک الدیر العظیم، قد تهدم بمرور الزمن، و لا یری منه الیوم إلا معالم ضئیلة لا یستدل منها علی ماضیه. إن أخربته تقع علی دجلة فی أعلی الموصل، عند «باش طابیه». و یؤخذ من کلام تافرنیه أن آثار هذا الدیر کانت أکثر وضوحا فی أیامه مما هی علیه الآن.

الملحق رقم (۱۱) (راجع الصفحة ۴۵+ ۴۶، الحاشیة ۳+ ۱)

یسمی أیضا الزاب الاعلی فی زماننا. و لهذا النهر تسمیات قدیمة متعددة فقد ذکر ایتزورث(W .F .Ainsworth) فی تعلیقاته الجغرافیة علی کتاب زینفون:

(Xenophon: Anabasis. london. ۲۷۸۱, p. ۸۴۳)

«إن هذا النهر عرف قدیما باسم زاباتس، أو زاباتس و عرف عند الآرامیین و الیهود باسم زراب، ثم تصحفت هذه التسمیة إلی زرب و زاب.

و عرف أیضا باسم لیکس(Lycus) عند هیروداتس و بولیبیوس و سترابون و بطلیموس. و سماه امیانس مرشلینس باسم دیابا».

الملحق رقم (۱۲) (راجع الصفحة ۵۳، الحاشیة ۱)

یرید تافرنیه بهذه «الحمام الحارة»، «حمام علی» التی یسمیها بعضهم الیوم حمام العلیل و قد سبقه غیر واحد من رحالی العرب الأقدمین و بلدانییهم

رحلة الفرنسی تافرنییة إلی العراق/ تعریب کورکیس عواد - بشیر فرنسیس، ص: ۱۰۷

إلی وصف هذه الحمام. قال یاقوت الحموی (معجم البلدان ۲: ۳۲۹):

«حمام علی: باصطلاح أهل الموصل و هی بین الموصل وجهینة، قرب عین القار، غربی دجلة. و هی عین ماؤها حار، کبریتیة. یقول أهل الموصل إن بها منافع، و الله أعلم». و لحمام علی أخبار أخری کثیرة تقف علیها فی مقال لکورکیس عواد، فی مجلة «الأخبار» الأسبوعیة (العدد ۵) [بغداد ۱۰ أیلول ۱۹۳۸] ص ۱۹- ۲۰ و ۳۱ بعنوان «حمام علی فی المصادر القدیمة». و تألف هذه الحمام من عدة عیون معدنیة أهمها ثلاث و هی: العین الکبیرة، و عین زهرة، و عین فصوصة. و کلها ذات میاه کبریتیة حارة تنبع عند الشاطئ الأیمن من نهر دجلة، علی مسافة ۱۶ میلا جنوبی الموصل و یقصدها الناس سنویا فی الصیف طلبا للاستشفاء.

الملحق رقم (۱۳) (راجع الصفحة ۵۳، الحاشیة ۳)

یعرف هذا السد عند أهالی الموصل، باسم «العوّایة» لأن الماء عند اجتیازه بآثار هذا السد یکون له صخب و زمجرة کأنه یعوی و قد وصف هذا السد الرحالة الأثری ریج فی کتابه:

.(Ancient Nineveh.(Vol. ۲, London. ۶۳۸۱: p. ۹۲۱

C. j. Rich: Narrative of a Residence In Koordistan and on the site of

و مما ذکره فی وصفه: «ان صوت الماء بلغ مسامعنا قبل بلوغنا المکان بمسافهٔ بعیدهٔ. و مع أنه لا یری شیء من هذا السد فوق سطح الماء، فإن الماء فوقه یهیج و یفور و یتدافع. أما الممر الذی یسلک فضیق، و هو الذی بین السد و بین الضفهٔ الشرقیهٔ. إن السد یخترق النهر، و یقول الأهلون إنه فی أواخر الصیف و أوائل الخریف، یمکن رؤیهٔ نحو قدم من هذا السد فوق سطح الماء. و من ملاحظهٔ هذا القسم الظاهر یعلم أنه شید بالحجارهٔ المنحوتهٔ المتلاحمهٔ بالکلس».

رحلهٔ الفرنسی تافرنییهٔ إلی العراق/ تعریب کورکیس عواد - بشیر فرنسیس، ص: ۱۰۸

الملحق رقم (۱۴) (راجع الصفحهٔ ۵۵، الحاشیهٔ ۳)

وصف ابن جبیر هذه العیون فی رحلته (ص ۲۳۲ طبعهٔ دی غویه) بقوله:

«... مررنا بموضع یعرف بالقیارهٔ، بمقربهٔ من دجلهٔ، بالجانب الشرقی منها.

و عن یمین الطریق إلی الموصل، فیه وهدهٔ من الأرض سوداء کأنها سحابهٔ، و قد أوجد الله فیها عیونا کبارا و صغارا تنبع بالقار، و ربما یقذف بعضها بحباب منه کأنها الغلیان. و یصنع لها أحواض تجتمع فیها، فتراها شبه الصلصال منبسط علی الأرض أسود أملس صقیلا رطبا عطر الرائحهٔ شدید التملک فیلصق بالأصابع بأول مباشرهٔ من اللمس. و حول تلک العیون برکهٔ کبیرهٔ سوداء، یعلوها شبه الطحلب الرقیق أسود تقذفه إلی جانبها فیرسب قارا، فشاهدنا عجبا کنا نسمع به فنستغرب سماعه».

وزار ابن بطوطهٔ هذه العیون فوصفها فی رحلته (۲: ۱۳۳ طبعهٔ باریس) بما لا یخرج عن وصف ابن جبیر لها، فاکتفینا بالإشارهٔ.

الملحق رقم (۱۵) (راجع الصفحهٔ ۵۶ الحاشیهٔ ۱)

الدور: بضم الدال، قریهٔ علی ضفهٔ دجلهٔ الیسری، بین تکریت و سامراء، تقوم فوق مکان قدیم، و تحیط بها خرائب قدیمهٔ یحتمل أنها من العصر الإسلامی بالقرب منها قبهٔ لمرقد الإمام محمد الدوری، و یصحفه العوام إلی «محمد الدر». و فی کتاب «جامع الأنوار» للبندنیجی أن هذا الشیخ ینتهی نسبه إلی الإمام موسی الکاظم. توفی فی قریهٔ الدور. و فی التاج إنه مات قبل الثلاثمائهٔ و أما المحل المدفون فیه محمد الدوری، فعبارهٔ عن بهو مربع الأرکان یبلغ طول کل رکن قرابهٔ ثلاثین مترا، و فی وسطه قبهٔ معقودهٔ بالجص و الآجر القدیم مخروطیهٔ الشکل من الأعلی، و مربعهٔ الأرکان من الأسفل، یبلغ طول کل رکن منها نحو ۲۰ مترا و هی تشبه قبهٔ الست زبیدهٔ ببغداد. و یزور أهل الدور هذا الإمام فی عصر کل خمیس و یطلبون منه حاجاتهم و ینذرون له

رحلهٔ الفرنسی تافرنییهٔ إلی العراق/ تعریب کورکیس عواد - بشیر فرنسیس، ص: ۱۰۹

النذور. و فی بلدهٔ الدور خمسهٔ مساجد و هی: «الجامع الکبیر» و یقال إنه من أبنیهٔ عمر بن عبد العزیز، و لا أثر هناک لکتابهٔ تؤید هذا الرأی ثم «جامع السادهٔ»، «و مسجد الشویخات» و هو قدیم لا یعرف بانیه. و «مسجد المواشط» و هو خرب و «جامع البوحیدر» و هو قدیم البناء لا یعرف من عمره و قد خرب.

و أبنیهٔ هذه البلدهٔ بالحجارهٔ و الجص.

و قد ذکر الدور امیانس مرشلینس فی کلامه علی تراجع جوفیان. و عن یمین باب الجامع رخامهٔ فیها کتابهٔ مؤلفهٔ من سبعهٔ أسطر هذا نصها:

«بسم الله الرحمن الرحیم هذا المسجد المبارک تربهٔ الإمام ابو [کذا] عبد الله محمد بن موسی بن جعفر بن محمد بن علی بن الحسین بن علی بن أبی طالب صلوات الله علیهم أجمعین و هو موضع ... رحم الله من زاره و أسعده ...».

و فی الوسط من الأسفل قوله «لله الملک».

هذا ما قرأه هر تسفلدوساره. و تقول المس بل إنها قرأت فی آخرها تاریخ اللوحهٔ و هو سنهٔ ۸۷۱ للهجرهٔ (۱۴۶۶ م). و قد کان هذا التاریخ مغطی بقشرهٔ من الجص فخفی علی العالمین المذکورین.

راجع بهذا الصدد:

کاظم الدجیلی (لغهٔ العرب ۱ [۱۹۱۱] ص ۴۷۰- ۴۷۹)

Bell: Amurath to Amurath(۱۱۹۱، pp. ۴۱۲- ۶۱۲)) Vol. ۱، ۱۱۹۱، pp. ۰۳- ۴۳، ۱۳۲- ۴۳۲ (Sarre u. Herzfeld: Arch aogogische Rcise im Euphrat- und Tigris- Gebiet

الملحق رقم (۱۶) (راجع الصفحهٔ ۵۶، الحاشیهٔ ۲ و ۳ و صفحهٔ ۵۷ الحاشیهٔ ۱)

هذا البرج هو المنارهٔ «الملویهٔ». و لما کان وصف رحالتنا لها لا یخلو من أوهام، رأینا أن نذکر هنا ما تجب معرفته بصدده، مقتبسین ذلک من کتاب

رحلهٔ الفرنسی تافرنییهٔ إلی العراق/ تعریب کورکیس عواد - بشیر فرنسیس، ص: ۱۱۰

«سامراء» الذی طبعته مدیریهٔ الآثار القدیمهٔ بالعراق (بغداد ۱۹۴۰، ص ۴۳- ۴۵):

الملویهٔ مئذنهٔ مخروطیهٔ الشکل، تستند إلی قاعدهٔ مربعهٔ، یصعد إلی قمتها من سطح مائل عریض یدور حولها، من خارجها، دوران الحلزون و یبلغ طول ضلع القاعدهٔ ۳۲ مترا، غیر أن قطر القمهٔ یصبح ۶ أمتار.

أما مجموع ارتفاع المئذنهٔ عن سطح الأرض فیبلغ ۵۲ مترا.

و هذه المئذنهٔ خارج أخربهٔ المسجد الجامع، علی بعد ۲۵ مترا من ضلعه الشمالی. لقد صانت مدیریهٔ الآثار، سنهٔ ۱۹۳۷، ما أصاب هذه المنارهٔ من تخریبات علی مدی العصور، فأظهرت أسس القاعدهٔ، و أعادت بناءها و عمرت اللولب، کما أعادت المرقاهٔ إلی حالتها السابقهٔ. و فی سنهٔ ۱۹۴۰ أکملت تعمیر القسم الأعلی من اللولب. بإنشاء غرفهٔ مستدیرهٔ صغیرهٔ بعض معالمها کانت لا تزال باقیهٔ مع الدرج المؤدی إلیها. و صار الصعود إلی أعلی المئذنهٔ متیسرا الآن. أما خرائب سامراء القدیمهٔ، فتمتد محاذاهٔ دجلهٔ إلی مسافات بعیدهٔ، تبلغ فی مجموعها ۳۴ کیلو مترا. و لا یزال ماثلا للعیان منها: الملویهٔ، و سور المسجد الجامع، و قسم من بیت الخلیفهٔ، و جامع أبی دلف و غیر ذلک.

و قد اهتمت مدیریهٔ الآثار القدیمهٔ بتعمیر هذه المخلفات و صیانتها من البلی و الاندراس.

الملحق رقم (۱۷) (راجع الصفحهٔ ۵۸، الحاشیهٔ ۳)

تضاربت آراء کتبهٔ العرب الأقدمین فی معنی اسم بغداد. و ها نحن نلخص فیما یلی لأهم تلک الآراء:

۱- ان معناها بستان رجل. فباغ (بستان)، و داد اسم رجل (راجع معجم البلدان ۱: ۶۷۷ مادهٔ بغداد)

۲- و بعضهم قال: بغ اسم صنم، فذکر أنه أهدی إلی کسری خصی من المشرق فأقطعه إیاها، و کان الخصی من عباد الاصنام بلده، فقال: بغ دادی،

رحلهٔ الفرنسی تافرنییهٔ إلی العراق/ تعریب کورکیس عواد - بشیر فرنسیس، ص: ۱۱۱

أی الصنم أعطانی (المعرب للجوالیقی. ص ۷۳ بتحقیق أحمد محمد شاکر، و معجم البلدان، و مادهٔ بغداد).

۳- و قیل بغ هو البستان، و داد أعطی. و کان کسری قد وهب لهذا الخصی هذا البستان، فقال بغ داد، فسمیت به. (معجم البلدان) و الظاهر أن تافرنییه أشار فی کلامه أعلاه إلی هذا الرأی.

۴- و قال حمزهٔ بن الحسن: بغداد اسم فارسی معرب عن باغ داذویه، لأن بعض رقعهٔ مدینهٔ المنثور کان باغا (بستانا) لرجل من الفرس اسمه داذویه (معجم البلدان).

۵- و قیل إن بغداد کانت من قبل سوقا یقصدها تجار أهل الصین بتجاراتهم، فیربحون الربح الواسع، و کان اسم ملک الصین بغ، فکانوا إذا انصرفوا إلی بلادهم قالوا: بغ داد، أی أن هذا الربح الذی ربحناه من عطیهٔ الملک (معجم البلدان).

۶- و نقل ابن الجوزی (مناقب بغداد ص ۶) قول عبد الله بن المبارک فی بغداد: «أن بغ شیطان، و داذ عطیه».

فهذه التعلیلات تستند فی جمیعها إلی اللغهٔ الفارسیهٔ.

و یری بعض المعاصرین (راجع: یوسف غنیمهٔ (لغهٔ العرب ۴ [۱۹۲۶- ۲۷] ص ۸۲)، و المطران نوری (رحلهٔ إلی الهند. حریصا ۱۶۳۴، ص ۴)، و فؤاد افرام البستانی. (المشرق ۳۲، [۱۹۳۴] ص ۶۸) ان لفظهٔ «بغداد» من اصل أرمنی فهی مؤلفهٔ من کلمتین: ب «المقتضبهٔ من کلمهٔ «بیت» عند الأرمنیین» و «کداد: «القطیع» أو «الغنم» فیکون مفادها «بیت القطیع» او «الحظیرهٔ».

و یلاحظ أن بغداد وردت فی المصادر القدیمهٔ بأشکال مختلفهٔ، فقیل بغداد، و بغداذ، و بغدان، و مغداد، و مغداذ، و مغدان، کما أنها سمیت «مدینهٔ السلام» و «الزوراء».

و قد أفادنا الاستاذ طه باقر، أمین المتحف العراقی، بالنبذهٔ التالیهٔ بصدد

رحلهٔ الفرنسی تافرنییهٔ إلی العراق/ تعریب کورکیس عواد - بشیر فرنسیس، ص: ۱۱۲

بغداد: ندونها فیما یلی شاکرین له فضله.

«ورد اسم بغداد فى المصادر المسمارية بهيئة بغدادا (بكدادا) أو بغدادو (بكدادو). غير ان المقطع (غ) يقرأه بعض المستشرقين (خو)، فتكون القراءة (خودادو)، و هذا بعيد، لأن مقطع (خو) يعبر عن الصوتين (غ) و (خو)، و ليس للصوت الاول مقطع خاص به.

اما الوثائق التى وردت فيها هذه التسمية فهى:

۱- حجر حدود من زمن الملك الكشى (نازى ماراتاش)، حوالى القرن الرابع عشر قبل الميلاد ورد فيه ذكر مدينة باسم (بلارى) على شاطىء نهر (شارى) أى نهر الملك فى مقاطعة (بكدادى)

۲- حجر حدود تعرف ب (حجر ميشو)، اشتراها فى سنة ۱۷۸۰ م طبيب اوروبى، و هى ترتقى إلى القرن الثانى عشر قبل الميلاد.

۳- حجر حدود من زمن الملك الكشى (مردوخ بلاندان الاول) فى القرن الثانى عشر قبل الميلاد، ورد فيه ذكر مواضع فى مقاطعة (بكدادى).

۴- رقيم طينى عثر عليه فى نينوى. يرتقى إلى القرن السابع قبل الميلاد.

«و منذ القرن الثامن قبل الميلاد، فقدت بغداد أهميتها، و أصبح يشار إليها فى المصادر الآشورية بانها مستوطن قبائل آرمية». انتهى كلام الاستاذ طه باقر.

الملحق رقم (۱۸) (راجع الصفحة ۵۸، الحاشية ۴)

كان لبغداد سور محكم البناء يقيها هجمات الأعداء. و قد ظل قائما حتى سنة ۱۲۸۷ ه (۱۸۷۰ م). فبدئ بهدمه فى تلك السنة بأمر مدحت باشا، حينما أردا توسيع بغداد و تعميرها فتهافت الناس على قلعه و الانتفاع بآجره، و كان فى السور، خمسة أبواب، أحدها مطل على النهر، عند الجسر و ليس له أثر الآن و الأربعة الأخرى تطل على البر، و هى: باب المعظم (هدم سنة ۱۹۲۲)، و الباب الوسطانى، و باب الطلسم (نسف سنة ۱۹۱۷) و الباب الشرقى (هدمت

رحلة الفرنسى تافرنية إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۱۱۳

بقاياه سنة ۱۹۳۷) و لم يبق اليوم من هذه الأبواب، إلا الباب الوسطانى، فقد عنيت مديرية الآثار القديمة، سنة ۱۹۳۸، بصيانته، ثم اتخذت منه متحفا للأسلحة القديمة.

الملحق رقم (۱۹) (راجع الصفحة ۶۳، الحاشية ۲)

عقرقوف:

كلام المؤلف على عقرقوف بحاجة إلى تعليق من وجوه مختلفة. و لما كان هذا الموقع قد نقب فيه فى السنوات الأخيرة (۱۹۴۲-۱۹۴۳) رأينا ان نستقى بعض المعلومات عن هذا الموضع من الاستاذ طه باقر الذى اشرف على اعمال التنقيب هناك، فزودنا بما هذه خلاصته:

تقع عقرقوف فى المنخفض المعروف باسمها، على بعد ۳۰ ميلا غربى بغداد فى خط العرض الشمالى ۲۱ ۳۳، و خط الطول الشرقى ۲۱ ۴۴.

و قد ذكر كثير من الرحالين اسم عقرقوف منذ القرن السادس عشر للميلاد إذ زاره غير واحد منهم و وصفوه. و اختلفوا فى أصله فعده بعضهم أنه برج بابل. و قد ورد ذكره أيضا فى المصادر العربية القديمة، و ذهبوا فى تعليل اسمه و ماهية الموضع مذاهب شتى. و يرى بعض الباحثين أن اسمه من الآرمية بمعنى «خربة الأوتاد أو القضبان».

و قد أثبتت التنقيبات فى هذا التل أنه موضع المدينة الكشية المعروفة بدور كوريكالزو، أى مدينة كوريكالزو. و كوريكالزو هذا، أحد ملوك ثلاثة من الكشيين عرفوا بهذا الاسم و سنرى فيما بعد أيا منهم كان مؤسس هذه المدينة و دلت التحريات الاثرية فى عدة مواضع من المدينة على أنها كانت عاصمة العراق فى عهد السلالة الكشية منذ القرن الخامس عشر قبل الميلاد، أى منذ حوالى منتصف الدور الكشى حتى أواخر أيامها حوالى القرن الثانى عشر ق. م. و قد مرت على المدينة لا سيما على قصورها أدوار تاريخية عدّ منها

رحلة الفرنسى تافرنية إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۱۱۴

أربع طبقات رئيسية، تنقسم كل منها إلى أدوار تاريخية ثانوية، يمثل كلًا منها بعض الملوك الكشيين الذين عثر على وثائقهم المكتوبة فى معابد المدينة و فى قصورها. و سكن الموقع أيضا أقوام أخرى استوطنت فوق أنقاض المدينة الكشية، فقد عثر فى بقعة قصور المدينة على قبور كثيرة دلت آثارها على أنها تعود إلى العصر الساسانى، و عثر على غيرها، كالنقود من الدور الفرثى.

و استوطنت فوق أنقاض معابد المدينة جالية إسلامية يرجع أقدم آثارها إلى دور سامراء، أى القرن الثالث للهجرة. و كان بين اللقى الإسلامية ما يعود إلى العصر الايلخانى، كما ورد فى وقفية أمين الدين مرجان حيث تذكر ناحية عقرقوف بنهر عيسى و كان من جملة ما وقفه أمين الدين مرجان الالجايتى على المدرسة المرجانية و دار الشفاء بباب الغربة.

و زقورة عقرقوف، أو برجها المدرّج من نوادر ما بقى من الزقورات فى العراق. و هى بخلاف غيرها لم ينظمر منها غير قاعدتها السفلى بالرغم من مرور ۳۴۰۰ سنة عليها. و هى عبارة عن جسم مصمت مبنى باللبن لا يعرف عدد طبقاته الأصلية و لكن ما بقى من علو الزقورة الذى يرتفع عن السهل نحو ۵۷ مترا، يجيز لنا أن نتصور أن لها سبع طبقات. و يقرب شكل قاعدتها السفلى من المربع، أبعادها ۶۸ ٥۶۱ مترا. و تتجه أركانها الأربعة حسب العادة باتجاه الجهات الأربع و القاعدة مبنية باللبن أيضا بوجوهها مدعومة. و قد عثر فى منتصف وجهها الجنوبى الشرقى على معالم درج آخر كان يرقى منه إلى قمة الزقورة حيث كان فى الأصل هناك معبد صغير لإله المدينة. و المألوف وجود درجين آخرين جانبيين يتصلان بالدرج الأوسط و يلتقى الثلاثة فى القمة.

و بناء الزقورة غريب، إذ يتكون من طبقات من اللبن يبلغ الموجود منها الآن ثلاثين طبقة، و كل طبقة تتألف من ثمانية إلى تسعة سافات من اللبن و طبقة من الاسل المحبوك. و قد نجد أحيانا طبقات من الحصى سمكها ۸ سنتيمترات لتسوية طبقة الاسل. و عثر أيضا على ربطات متينة من الحبال و القصب المشبوكين داخلة فى البناء، و أبعاد لبنة الزقورة تبلغ ۳۳ ٥۳۲ ٨ سم.

رحلة الفرنسى تافرنية إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۱۱۵

الملحق رقم (۲۰) (راجع الصفحة ۶۹ الحاشية ۲)

تقع أخربة طريدون على مقربة من البصرة و قد ذهب العلامة رولنصن، نقلا عن ابيدينوس و أسابيوس، إلى أن نبوخذ نصر كان قد أنشأ هذه المدينة. راجع:

g. rawlinson: the five great monarchies of the ancient eastern) vol. lll, london, ٥۶٨١: p. ٠٩٢) world

و ذكر أيضا ان طريدون: و تسمى ديريدوتيس(Diridotis) تقوم على ساحل الخليج الفارسى، على بعد يسير من غربى مصب الفرات. و قد كان لها مسناة أو سد يحميها من طغيان المد العالى الذى يندفع من المحيط الهندى. أن تعيين موقع طريدون تعيينا أكيدا فى غاية من الصعوبة، نظرا إلى عدم استقرار ساحل الخليج و تبدله تبدلا دائما من جهة، و الى تغير مجرى الفرات عما كان عليه فى أيام نبوخذ نصر من جهة أخرى. و لعل بقاياها يمكن أن يبحث عنها فى أنحاء الزبير أو فى ما وراء ذلك من أراض.

و ذهب الرحالة جسنى

chesney: the expedition for the survey of the river euphrates and tigris,(vol. ll, london, (٠٥٨١: p. ٥٥٣

الى ان طريدون يمكن أن تكون فى جبل سنام، و هو تل عظيم قريب من نهر أبا(Pallacopas) المعروف بكرى سعده. و هذه البقعة تقع على نحو ۲۳ ميلا من جنوب جنوب غربى البصرة. و على ۱۳ أو ۱۴ ميلا من غرب الزبير.

و قد ذكر بلينى هذه البلدة فى تاريخه الطبيعى:

.the natural history of pliny. translated by john bostock and h. t

riley .chaprer ۲۳.

بقوله إنك «إذا سرت [شمالا] بطريق الماء من المقاطعات الفرثية، انتهيت إلى قرية تعرف باسم طريدون».

رحلة الفرنسى تافرنية إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۱۱۶

أما اميانس مرشلينس المؤرخ الرومانى.

(the roman history of ammeanus. translated by c. d. yonge.(bood xxlll, chap. ۳۲

فقد عد طريدون مدينة آشورية، و هو يعنى بابلية. راجع:

.(W. H. Lane: Babylonian problems(London, ۳۲۹۱, p. ۴۷۲- ۹۷۲

الملحق رقم (۲۱) (راجع الصفحة ۷۰ الحاشية ۱)

لعل رحالتنا يقصد بهذه الأخرية، بقايا مدينة البصرة القديمة، التى أسسها عتبة بن غزوان سنة ١٦ أو ١٧ ه (- ۶۳۸ م) بأمر من عمر بن الخطاب ثم تقلبت بها الحوادث و انتابتها المحن. فخربت و أصبحت أطلالا- و آكاما تشاهد اليوم على نحو ثمانية أميال من مدينة البصرة الحالية، التى انتقلت إليها العمارة فى المائة التاسعة للهجرة على ما يظن. فإن ابن بطوطة (المتوفى سنة ٧٧٧ ه) حينما زارها وجد كثيرا من أقسامها خاليا من السكان، بل إن أسوارها القديمة و مساجدها كانت تبعد أحيانا عدة أميال عن المواطن المسكونة منها.

الملحق رقم (٢٢) (راجع الصفحة ٧١ الحاشية ٣)

جاء فى كتاب «زاد المسافر و لهنة المقيم و الحاضر فيما جرى لحسين باشا ابن أفراسياب حاكم البصرة» لفتح الله بن علوان الكعبى (بغداد ١٩٢۴ ص ١٧ و ١٨) ما هذا نصه فى هذا الصدد: «و سبب حكومة أفراسياب فى البصرة على ما نقل، أنه كان كاتبا للجند المحافظ فى البصرة، فاتفق رأى أهل البصرة على هجر الحاكم الرومى، و كان اسمه على باشا، فقلت مداخيله و عجز عن ارزاق الجند المحافظين معه. فباع البصرة من أفراسياب المذكور بثمانية أكياس رومية، و الكيس ثلاثة آلاف محمدية، على أن يقطع الخطبة من اسم السلطان. فرضى بذلك افراسياب، و اشترى البصرة. و توجه الرومى إلى

رحلة الفرنسى تافرنيية إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ١١٧

اسطنبول فحكم فى البصرة افراسياب، و نشر العدل، فحسنت أيامه و أحبته الرعية و قوى سلطانه ... و كان ابتداء حكومته فى سنة ١٠٠۵ ه و استمرت حكومته سبع سنين. ثم حكم بعده ابنه على باشا. و استمرت حكومة على باشا خمسا و أربعين سنة. ثم حكم بعده ابنه حسين باشا».

الملحق رقم (٢٣) (راجع الصفحة ٧٣ الحاشية ٣)

ذكر مؤلف كتاب «تقويم قديم للكنيسة الكلدانية النسطورية» (طبعة الخورى بطرس عزيز. بيروت ١٩٠٩ ص ١٩) فى كلامه على حال النساطرة فى مدينة البصرة سنة ١۶١٠، و هو يكاد يعاصر الرحالة تافرنيه، قائلا: «ثم مدينة البصرة: كان يوجد فيها مطرابوليط اسمه مارشمعون، من بيت المقدس كان تحت يده أسقف واحد اسمه مار ايليا من الموصل، مع كهنة و شمامسة قدر الكفاية. و كان لهم ثلاث كنائس داخل البلد: الاولى على اسم مار توما الرسول. و الثانية على اسم مار ميخائيل. و الثالثة على اسم مار هرمزد. و عدد المؤمنين كان ثلاثة آلاف بيت فى سنة ألف و ستمائة و عشرة. و هم نساطرة، فى زمان البطريرك مار ميخا شوحايه».

الملحق رقم (٢۴) (راجع الصفحة ٧۵ الحاشية ۴)

إذا فرضنا ان العائلة تتألف من أربعة أفراد، كان نفوس الصابئة فى أيام تافرنيه، أى قبل ثلاثمائة سنة، زهاء مائة ألف صابى». و لكن هذا العدد أخذ يتناقص و يتضاءل بمرور الأعوام. و ليس بيدنا احصاء دقيق بعدد نفوسهم اليوم.

إنما نورد فيما يلى ما ذكره بعض المؤلفين العراقيين بصدد عددهم، ابتداء من الأقدم:

١- الأب انستاس مارى الكرملى: الصابئة أو المندائية (ظهر تباعا فى مجلة «المشرق» البيروتية فى السنوات ١٩٠٠- ١٩٠٢ م). قال: «قد أحصيت

رحلة الفرنسى تافرنيية إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ١١٨

بنفسى عدد الصابئة بلدة بلدة، فوجدتهم لا يزيدون على ١٨٠٠ نسمة، و هم يسيرون إلى الانقراض حثيثا».

٢- هاشم السعدى: جغرافية العراق الحديثة (بغداد ١٩٢۴) قال (ص ٨٢) ان نفوسهم ٨۵٠٠ نسمة

٣- عبد الحميد عبادة: مندالى أو الصابئة الأقدمون (بغداد ١٩٢٧) قال (ص ١١) ان نفوسهم ۵٠٠٠.

۴- طه الهاشمى: مفصل جغرافية العراق (بغداد ١٩٣٠) قال:

(ص ١١٠) إن نفوسهم ٨٠٠٠.

۵- السيد عبد الرزاق الحسنى: الصابئة قديما و حديثا (القاهرة ١٩٣١) قال: (ص ۶١) ان نفوسهم ۵٣٠٠ و نقل رأى بعض الصابئة القائل إن عددهم يربو على ١٠٠٠٠ نسمة.

الملحق رقم (٢۵) (راجع الصفحة ٧٧، الحاشية ٢)

تفضل الأستاذ عبد الجبار عبد الله فكتب فيما يلى وصفا دقيقا لما يجرى فى حفلة الزواج عند الصابئة قال:

يخلط المؤلف كثيرا فى وصف حفلة الزواج. و الصحيح أن الكهنة الذين لهم الحق فى عقد المهر صنفان: الأول يسمى «الكنزبرا» و هو الذى يعقد مهر العذارى، و الثانى يسمى «الايسق» و هو الذى يعقد الثيب. و الكاهن الثانى أوطأ مرتبة من الأول، كما أنه محروم من كثير من الحقوق الدينية التى يمارسها «الترميذة» أو الكنزبرا. فمثلا إنه لا يحق له أن يعمد.

و أما كيفية معرفة العروس و التأكد منها، فقد جرت العادة أن يترك الأمر إلى امرأة يثق الكاهن بها و يعتمد عليها. و ليس من الضرورى أن تكون زوج الكاهن نفسه حتى و لا أن تكون صابئية. و فى الوقت الحاضر يعمد بعضهم إلى استحصال تقرير طبى من طبيبة أو ممرضة رسمية.

رحلة الفرنسى تافرنيية إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ١١٩

و أما وصف حفلة الزواج، فكما يأتى:

يقوم أحد الكهنة من درجة الترميذة بتعميد العروس و العريس كل على انفراد. ثم يعمدهما كاهن آخر كلًا على انفراد أيضا ثم يجلس الكنزبرا (أى رئيس الكهنة) فى وسط مظلة من القصب يسمونها «المجلس»، و يجلس إلى جانبه كاهنان من درجة الترميذة يقومان بدور شاهدين و بعد ان يقرأ الجميع صلوات خاصة خارج المجلس يجلس العريس إلى يسار الكنزبرا مرتديا ملابس مشابهة لتلك التى يرتديها الكهنة و يسمونها «الرسته» و يقرأ الكنزبرا الصلوات الخاصة بالزواج فى كتاب خاص يسمونه «القلسته» و يحضر والد العروس أو من ينوب عنه، و يشهد بأنه زوج ابنته من العريس، و يصافح العريس على ذلك ثم يذهب الكنزبرا إلى العروس التى تكون فى غرفة خاصة بها و يسألها عما إذا كان الزواج برضاها، و إذا لم تكن مجبرة على تلك الزيجة. و يقرأ عليها صلاة خاصة ثم يعود إلى المجلس. و بعد أن يقرأ صلاة خاصة يأخذ العريس إلى عروسه و يقدمه إليها و يحلفه بأنه لا يخونها و لا يظلمها ... الخ كل ذلك وفقا لما هو مكتوب فى القلسته التى يقرأها.

و إذا كانت العروس ثيبا، فيقوم الايسق بقراءة القلسته بدلا من الكنزبرا و يقرأ الصلاة نفسها.

أما يوم العقد، فيجب أن يكون يوم الأحد، لأنهم يقدسون هذا اليوم.

و ليس صحيحا أن الكاهن يختار يوما يوافق طالع العروسين.

الملحق رقم (٢۶) (راجع الصفحة ٨۶، الحاشية ١)

اشارة

العمادية من أعظم القلاع العراقية و أبعدها شهرة، تقوم فى شمالى الموصل على بعد ١۶٨ كيلو مترا منها. و هى مبنية فوق جبل لا يرام إلا بجهد و مشقة.

و للعمادية، تاريخ طويل حافل و أقدم ما انتهى إلينا من أخبارها يرتقى إلى أيام الدولة الآشورية، فى المائة التاسعة قبل الميلاد، ثم تقلبت بها

رحلة الفرنسى تافرنيية إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ١٢٠

الأحوال من بعد الأشوريين، فدخلت فى حكم دول و دويلات إسلامية و أما اليوم فهى مركز قضاء العمادية بلواء الموصل.

العمادية فى العصر الآشورى:

تفضل الاستاذ طه باقر بكتابة النبذة الثمينة التالية بهذا الصدد فقال:

«العمادية هى «أمات»(Amat) الواردة فى المخطوطات الاشورية و لعل أقدم ذكر لها فى سجلات (أخبار) الملك الاشورى «شمسى اداد» الخامس (٨٢٣- ٨١٠ ق. م.) الذى خلف أباه شلمنصر الثالث. و قد ذكرها من جملة المدن التى هيجها أخوه «اشور- دانن- ايلى» فى حياة أبيه ليأخذ العرش لنفسه بدل الوريث الشرعى «شمسى- اداد» الخامس. أما محل ورودها فإنه فى مسلة شمسى- اداد التى وجدت فى القصر الجنوبى الغربى فى نمرود (الآن فى المتحف البريطانى رقم ١١٠) و قد نشر نصها فى:

Rawinson, Cuneiform inscriptions of Western Asia, I, Plates- ٩٢- ١٣

و نشر ترجمتها إلى الإنكليزية. ff ,٣۵٢ ,I ,Ancient Records ,Luckenbill . و موضعها فى الفقرة ٧١۵ من المصدر ذاته. و ذكرها الملك الاشورى اداد- نرارى الثالث (٨٠۵- ٧٨٢ ق. م.) ابن شمسى اداد الخامس فى مسلته التى هى الآن فى متحف استانبول (انظر فقرة ٧٣۶ المصدر ذاته(Luckenbill و بقيت «أمات» مدينة حتى العصر البابلى الحديث (الكلدانى) (انتهى كلام الأستاذ طه

باقر).

العمادية فى العصور الإسلامية:

قال ياقوت (معجم البلدان ۳: ۷۱۷ طبعة و ستنفلد) فى وصفها إنها «قلعة حصينة مكينة عظيمة فى شمالى الموصل و من أعمالها عتمرها عماد الدين زنكى ابن آق سنقر فى سنة ۵۳۷ ه، و كانت قبلها حصنا للأكراد فلكبره خربوه فأعاده زنكى و سماه باسمه فى نسبه إليه، و كان اسم الحصن الأول آشب».

و قال فى مادة آشب (معجم البلدان ۱: ۶۳): «آشب، بكسر الشين كانت من أجل قلاع الهكارية ببلاد الموصل، خربها زنكى بن آق سنقر و بنى

رحلة الفرنسى تافرنية إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۱۲۱

عوضها العمادية بالقرب منها، فنسبت إليه».

فبمقابلة هذين النصين يفهم أن موقع آشب القديم لم يكن فى مكان العمادية، بل كان «قريبا» منه.

و فى «نزهة القلوب» لحمد الله مستوفى القزوينى (ص: ۱۰ طبعة لسترنج) ان «العمادية مدينة كبيرة، جدد عمارتها عماد الدولة الديلمى (المتوفى سنة ۳۳۸ ه، ۹۴۹ م) و سماها العمادية. هواؤها لطيف للغاية، و حقوق ديوانها ۶۸۰۰۰ دينارا».

فهذا القول مخالف لما ذكره بلدانيو العرب و مؤرخوهم من أن مجدد العمادية كان عماد الدين زنكى لا عماد الدين الديلمى.

و فى «تقويم البلدان» لأبى الفداء (ص ۲۷۵ طبع باريس) اشارة إلى العمادية، قال: «و من بلاد الجزيرة العمادية، و هى قلعة عامرة على ثلاث مراحل من الموصل من الشرق و الشمال، و هى على جبل من الصخر فى الوطأ، و تحتها مياه جارية و بساتين و هى فى جهة الشمال عن اربل».

و فى الكامل لابن الاثير اشارات عديدة إلى العمادية، فقد ذكر فى (۹: ۸ طبعة ترنبرغ) ان زنكى فتح قلعة آشب و خربها و بنى عوضا عنها قلعة العمادية.

و قال فى حوادث سنة ۵۳۷ ه (الكامل ۹: ۶۰) ان فى هذه السنة «ارسل اتابك زنكى جيشا إلى قلعة آشب، و كانت أعظم حصون الاكراد الهكارية و أمنعها، و بها أموالهم و أهلهم، فحاصروها و ضيقوا على من فيها فملكوها، فأمر بإخرابها و بناء القلعة المعروفة بالعمادية عوضا عنها».

و أشار فى حوادث سنة ۵۶۳ ه (۹: ۲۱۸) إلى أن العمادية كانت من جملة أملاك زين الدين على بن بكتكين و قد كان ابتداء تملكه إياها فى سنة ۵۳۹ ه.

و فى أحداث سنة ۶۱۵ ه ساق ابن الأثير (الكامل ۱۲: ۲۱۹- ۲۲۰) خبر محاصرة جيش بدر الدين لؤلؤ قلعة العمادية، و كان فيها إذ ذاك عماد الدين

رحلة الفرنسى تافرنية إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۱۲۲

زنكى، و ارتداد جيش بدر الدين عنها خائبا، لتعسر اقتحامها، و لكثرة الثلج المتساقط فى تلك البقاع إذ كان الموسم شتاء فاستتب الأمر لعماد الدين فى هذه القلعة.

و ذكر فى أحداث سنة ۶۲۲ ه (۱۲: ۲۸۹- ۲۹۱) ما كان من تملك بدر الدين لؤلؤ قلعة العمادية بعد أن استعصت عليه فى سنة ۶۱۵ ه.

و كانت العمادية حين تملكها بدر الدين بيد أولاد خواجه إبراهيم.

و قال محمد أمين زكى (خلاصة تاريخ الكرد و الكردستان ص ۱۹۴) أن فى سنة ۹۴۸ ه (۱۵۵۱ م) اضطرت الحكومة العثمانية فى عهد السلطان سلمان لتجريد حملة مؤلفة من قوات أمراء العمادية و غيرها لمطاردة الأمير الإيرانى الذى رفض الذهاب إلى استانبول.

و قال فى ص ۲۱۵ إن العمادية كانت حتى سنة ۱۰۴۸ ه (۱۶۳۸ م) مستقلة تحت إدارة أمراء الأكراد، و لم تخضع للتابعية العثمانية إلا فى سنة ۱۰۷۰ ه (۱۶۶۹ م).

و قال أيضا فى ص ۲۳۱ إن عبد الباقى باشا و الى الموصل أغار سنة ۱۱۹۳ ه (۱۷۷۹ م) على العمادية فقتل و نهب و سلب.

و ذكر فى ص ۲۴۴ أن محمد باشا أمير راوندوز استولى على العمادية فى سنة ۱۲۴۸ ه (۱۸۳۲ م).

ثم قال فى ص ۲۴۸- ۲۴۹ إن إسماعيل باشا البهدينانى استولى على العمادية و البلاد المحيطة بها بعد رسول بك أخ محمد باشا. و لكن البلدة لم تبق بيده مدة طويلة، فإن محمد باشا اينجه بيرقدار متصرف الموصل، زحف سنة ۱۲۵۱ ه (۱۸۳۵ م) بجيش على العمادية فاستولى عليها. و لكن إسماعيل باشا استردها سنة ۱۲۵۸ ه (۱۸۴۲ م). ثم إن محمد رشيد باشا استولى على القلعة و قبض على إسماعيل باشا فأرسله إلى بغداد وزجه فى سجنها، و انتهى بذلك عهد هذا الأمير البهدينانى.

و لقد عقد الأمير شرف خان البدليسى فصلا طويلا فى حكام العمادية

رحلة الفرنسى تافرنية إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۱۲۳

البهدينانيين (شرفنامه. ص ۱۴۵- ۱۵۶ طبع القاهرة).

و منه يستخلص أن نسب حكام العمادية يتصل بالخلفاء العباسيين. و تقول رواية أخرى إنهم ينتمون إلى شخص آخر اسمه عباس. و كان أصلهم من قلعة طارون من أعمال شمس الدينان و يسميهم أمراء كردستان بهادينان. و الرواية الصحيحة أن أولاد بهاء الدين بقوا يحكمون العمادية مدة أربعمائة سنة. إن الحكام الذين حكموا العمادية من نسل بهاء الدين لا يعرف بعضهم. و أما المعروفون منهم فهم:

الأمير زين الدين، و السلطان حسين، و قباذ بك، و بيرام بك، و سيدى خان بك بن قباذ بك.

أن أول هؤلاء الحكام حكم العمادية فى زمن الأمير تيمور كوركان، و آخرهم دخل العمادية سنة ۹۹۳ ه.

الملحق رقم (۲۷) (راجع الصفحة ۹۱، الحاشية ۲)

تقول دائرة المعارف الاسلامية (مادة: عانة) إنها مدينة عريقة فى القدم، و هى من مدن الجزيرة، عرفت فى الكتابات المسمارية باسم خانات(Khanat) و فى المراجع الإغريقية باسم أناثا(Anatha) ، و فى الكتابات التدمرية باسم عانة، بكونها محطة عسكرية. و سماها الآراميون عانات، و بالسريانية عاناث و يزعم بعضهم أن اسمها آرمى الأصل، معناه «بيت الماعز».

و يقول العلامة المستشرق موسيل(Alois Musil) فى كتابه:

(The Middle Euphrates(New York, ۷۲۹۱: p. ۳۰۲

«كانت عانة المعسكر السابع و العشرين فى الطريق الذى أنشأه الملك الآشورى توكولتى انورتا. فقد كان معسكره قبالة جزيرة عانات فى أرض سوخى، و عانات هى عانة الحالية التى بنى جامعها الكبير و قلعتها فى جزيرة تبعد ۱۶ كيلو مترا من سور».

رحلة الفرنسى تافرنية إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۱۲۴

و يقول (ص ۲۶۱) إن مدينة آنات هى التى أصبحت «عانات» فى العصور الوسطى، و عانة الوقت الحاضر.

و يقول أيضا (ص ۳۴۵- ۳۴۹) أن مركز عانة، يقوم فى الأصل فى الجزر التى كانت كثيرة الخصب دائما. و لم تكن فى الأزمنة السالفة على ما هى عليه اليوم من امتداد، و لم يكن أهلها فى منجاة من غزوات البدو فحسب، بل إن مركزها ساعدهم على إخضاع المواطن المحيطة بها. لهذا السبب كان الآشوريون عادة يجعلون سادة عانة حكاما على مقاطعة سوخى و كان الملك توكولتى أنورتا الثانى (۸۸۹- ۸۸۴ ق. م) قد تسلم الجزية من «ايلو ابنى» عميد سوخى الذى كان يسكن فى بلدة آنات الواقعة فى منتصف الفرات.

و مرّ أسطول الأميراطور تراجان الرومانى بجزيرة أناثا.

و إن معين أحد قواد الملك الساسانى سابور الثانى (۳۰۹- ۳۷۹ م) بعد أن تنصّر و بنى كنائس و ديارات فى سنجار، ذهب إلى عاناث حيث بنى له على ضفاف الفرات، على ميلين من عانات منسكا عاش فيه سبع سنوات.

و كانت قلعة أناثا تقع فى جزيرة. و فى سنة ۳۶۳ م حاصرها الأسطول الرومانى فأحرقها و هرب أهلها منها و فى اليوم التالى غرقت عدة سفن من هذا الأسطول لاصطدامها بسدود كانت بنيت فى النهر لأجل الرى.

و كان مبارك المعاصر لبرعيثا فى منتصف القرن السادس للميلاد من أبناء عانة، و هى بلدة على نهر الفرات.

و فى بادئ سنة ۵۹۱ م أرسل ورامس(Varamus) جيشا إلى قلعة عانة الواقعة على الفرات قرب قرقيسيا لصد كسرى من الرجوع إلى بلاد فارس.

و لكن الجنود قتلوا قائدهم و أعلنوا الانضمام إلى كسرى.

و فى بدء القرن السابع أقام أسقف بدو الثعلبية فى عانة. و قد تطرق امرؤ القيس، و الأخطل، و علقمة فى أشعارهم إلى خمرة عانة فى كتاب الخراج لأبى يوسف (ص ۱۸۵):

و قد كان خالد بن الوليد مر ببلاد عانات فخرج إليه «بطريقها»، فطلب

رحلة الفرنسى تافرنية إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۱۲۵

الصلح، فصالحه و أعطاه ما أراده على أن لا يهدم لهم بيعة و لا كنيسة، و على أن يضربوا نواقيسهم فى أى ساعة شاؤوا من ليل أو نهار

إلا فی أوقات الصلوات. و علی أن یخرجوا الصلبان فی أیام عیدهم. و اشترط علیهم أن یضیفوا المسلمین ثلاثهٔ أیام و یبذرقوهم (أی یخفروهم).

و یذکر ابن خرداذبه فی المسالک و الممالک (ص ۷۴) ان عانهٔ من عمل الفرات.

و یقول قدامهٔ فی الخراج (ص ۲۳۳) إن الفرات «یمر بالرحبهٔ، ثم یمر حتی یلتحف علی عانهٔ لأنها فی وسطه، ثم یمتد عل سننه و یمر بهیت و الأنبار».

و قد أشار الهمذانی إلی عانهٔ بکونها من المدن المشهورهٔ بخمرها.

و قال المقدسی إن أکبر المدن علی الفرات رحبهٔ ابن طوق، و کذلک قرقیسیا و عانهٔ و الدالیهٔ و الحدیثهٔ.

و قد وصف الشابشتی فی کتاب الدیارات دیر مار سرجیس بقوله «هذا الدیر بعانهٔ، و عانهٔ مدینهٔ علی الفرات عامرهٔ، و بها هذا الدیر، و هو کبیر حسن کثیر الرهبان، و الناس یقصدونه للنتزه فیه و هناک کروم و معاصر و بساتین و شجر و الموضع فی نهایهٔ الحسن».

و فی سنهٔ ۱۰۰۸ إلی ۱۰۰۹ م راسل ابن محکان أهل عانهٔ فأطاعوه، و أخذ رهائنهم، ثم خرجوا عن طاعته، فسار إلیها و لکن صالح بن مرداس الکلابی وضع من یقتله فقتل غیلهٔ فملک هذا عانهٔ و الرحبهٔ بمفرده (راجع ابن الأثیر ۹: ۱۴۸).

و فی سنهٔ ۱۰۲۲ إلی ۱۰۲۴ م اجتمع حسان أمیر بنی طی، و صالح بن مرداس أمیر بنی کلاب، و سنان بن علیان و تحالفوا و اتفقوا علی الحاکم المصری بالشام علی أن یکون من حلب إلی عانهٔ لصالح، و من الرملهٔ إلی مصر لحسان، و دمشق لسنان و أقلع صالح بفتح جمیع البلاد من بعلبک إلی عانهٔ، و أقام فی حلب ست سنوات (ابن الأثیر ۹: ۱۶۲).

رحلهٔ الفرنسی تافرنیهٔ إلی العراق/ تعریب کورکیس عواد - بشیر فرنسیس، ص: ۱۲۶

و فی معجم ما استعجم للبکری (ص ۶۴۱) «و کانت عانهٔ و هیت مضافتین إلی طاسیج الأنبار. و کانت الخمر الطیهٔ تنسب إلیهما فلما حفر أنوشروان الخندق من هیت حتی یأتی کاظمهٔ مما یلی البصرهٔ و ینفذ إلی البحر، و جعل المناظر لعبث العرب فی أرض السواد و ما یلیه، خرب عانهٔ و هیت بذلک السبب».

و یقول موسیل إنه فحص الأرض من جنوب غرب هیت إلی مسافهٔ تقرب من ۲۵۰ کیلو مترا دون أن یقع علی معالم أی خندق رغم انه أجهد نفسه للحصول علی أثر واحد له، فقد تکون القصهٔ مستندهٔ إلی التکوین الطبیعی للأرض، إذ إنه علی مسافهٔ ۵۵ کیلو مترا جنوب شرقی هیت یبدأ نجد طار الحیان و طار الصیهد و غیرهما من النجود التی تمتد شرقا، و لکنها تشرف من الغرب علی منخفض البحرهٔ و جفر المالح مع جرف قائم الانحدار نوعا ما، علی أن فی هذا الجرف فجوات فی بعض مواضعه تختلف فی السعهٔ یمکن تتبعها مسافهٔ بعیدهٔ إلی الجنوب الشرقی، و لا یزال یشاهد حتی الآن، علی بضعهٔ کیلو مترات أسفل هیت بقایا نهر کبیر للری، یمتد إلی النقطهٔ التی یبدأ منها جرف طار الحیان الطبیعی. إن جمیع المخافر الفارسیهٔ للحدود شیدت إلی شرق الجرف الذی کان یشکل لها نوعا من خط تحصین طبیعی. إذ لا یمکن أن تصعدها الإبل العربیهٔ برکابها و أحمالها إلا فی المواضع القابلهٔ للعبور.

و ذکر ابن الأثیر (۱۰: ۲۲۱) أن أهل عانهٔ نسبوا إلی الباطنیهٔ قدیما، فأنهی حالهم إلی الوزیر أبی شجاع (۱۰۸۳- ۱۰۹۱ م) أیام المقتدی بأمر الله فأحضرهم إلی بغداد، فسأل مشایخهم علی الذی یقال فیهم فأنکروا و جحدوا فأطلقهم.

و فی تشرین الأول ۱۱۰۳ م استولی الترکمان علی مدینهٔ عانهٔ و حدیثهٔ، و کان ید بنی یعیش، فقصد بنو یعیش سیف الدولهٔ صدقهٔ بن مزید و معهم مشایخهم، فسألوه الاصعاد إلیها و أن یتسلمها منهم، ففعل و صعد معهم، فرحل الترکمان عنها و عاد إلی حلته فرجع إلیها الترکمان و ملکوها و نهبوا و سبوا جمیع نسائها و انحدروا طالبین هیت من الجانب الشامی فبلغوا إلی

رحلهٔ الفرنسی تافرنیهٔ إلی العراق/ تعریب کورکیس عواد - بشیر فرنسیس، ص: ۱۲۷

قریب منها، ثم رجعوا من یومهم لما جاءهم خبر جیش سیف الدولهٔ مقبلا إلیهم (ابن الأثیر ۱۰: ۲۵۲)

و فی سنهٔ ۱۱۴۲ إلی ۱۱۴۴ م استولی أتابک زنکی علی عانهٔ. و کتب الإدریسی أن عانات بلدهٔ صغیرهٔ فی جزیرهٔ فی الفرات، فیها أسواق و صناعات.

و فی یاقوت (۳: ۵۹۴) إن عانهٔ مشهور بین الرقهٔ و هیت، یعد فی أعمال الجزیرهٔ، و هی مشرفهٔ علی الفرات قرب حدیثهٔ النورهٔ، و بها قلعهٔ حصینهٔ.

و لما بلغ الملک انوشروان أن طوائف من الأعراب یغیرون علی ما قرب من السواد إلی البادیهٔ. أمر بتجدید سور مدینهٔ آلوس، کان سابور ذو الأکتاف بناها و جعلها مسلحهٔ لحفظ ما قرب من البادیهٔ. و أمر بحفر خندق یشق طف البادیهٔ إلی کاظمهٔ مما یلی البصرهٔ، و ینفذ إلی البحر و بنی علیه المناظر و الجواسق و نظمه بالمسالح لیکون ذلک مانعا لأهل البادیهٔ عن السواد، و کانت هذه المسالح سببا فی خراب هیت و عانات.

إن الملک أنوشروان الذی ذکره البکری و یاقوت کان کسری الأول (۵۳۱- ۵۷۸ م) و آلوس هی محلهٔ آلوسهٔ علی نحو ۵۰ کیلو مترا جنوب غربی هیت، و الملک سابور هو سابور الثانی (۳۰۹- ۳۷۹ م) و استنادا إلی هذه الأخبار، فإن هیت و عانات سقطتا لأنهما کانتا شمال غربی مسالح الحدود، و لأن مسلحهٔ قلعهٔ آلوس لم تطق الدفاع عنهما.

و فی ۱۲۳۸ م حکم عانهٔ و الرحبهٔ و الخابور صاحب حمص. و فی آخر کانون الثانی ۱۲۳۹ م (أبو الفداء ۴: ۴۳۸ و ۴۶۰ و ما بعدها) تخلی نجم الدین أیوب عن سنجار و الرقهٔ و عانهٔ للأمیر یونس الملک الجواد الذی باع عانهٔ من الخلیفهٔ المستنصر و بعد هذا البیع اجتاز الأمیر یونس البادیهٔ إلی غزهٔ و التحق بالصلیبیین فی حصن عکا.

و فی ربیع ۱۲۴۱ م کانت عانهٔ من أملاک الخلیفهٔ. و إن الخوارزمیین الذین فروا من تعقب الملک المنصور لهم بعد أن انتهی من فتح تل خابور و قرقیسیا، اتخذوا منها ملجأ لهم.

رحلهٔ الفرنسی تافرنیهٔ إلی العراق/ تعریب کورکیس عواد - بشیر فرنسیس، ص: ۱۲۸

و فی ۱۲۵۳- ۱۲۵۴ م أفرج بشفاعهٔ الخلیفهٔ المستعصم عن الملک الناصر داود صاحب الکرک و کان قد اعتقله الملک الناصر یوسف بقلعهٔ حمص، و أمره ألا یسکن فی بلاده، فرحل الناصر داود إلی جههٔ بغداد فلم یمکنوه من الوصول إلیها، و طلب ودیعته الجوهر، فمنعوه إیاها، فبقی الناصر داود فی جهات عانهٔ و الحدیثهٔ، و ضاقت به الأحوال و بمن معه فاتفق أن الأشرف صاحب تل باشر و تدمر و الرحبهٔ و یومئذ أرسل إلیه سفینتین موسقتین دقیقا و شعیرا. و أخیرا أذن له فی النزول بالأنبار و بینها و بین بغداد ثلاثهٔ أیام.

و فی آثار البلاد للقزوینی (ص ۲۸۰): عانهٔ بلیدهٔ بین هیت و الرقهٔ یطوف بها خلیج من الفرات، و هی کثیرهٔ الأشجار و الثمار و الکروم، و لها قلعهٔ حصینهٔ. و لکثرهٔ کرومها العرب تنسب إلیها الخمر. و أهل بغداد إذا شاهدوا ظلما قالوا الخلیفهٔ إذا فی عانهٔ، و زمن هذا القول ۱۰۵۹ م لما کان الخلیفهٔ القائم بأمر الله محبوسا فی عانهٔ و لم یعد منها حتی ربیع ۱۰۶۰ م.

و فی آخر آب ۱۳۱۶ م سار مهنا بن عیسی و کان نازلا بالقرب من عانهٔ إلی خربندهٔ کبیر المغول، و اجتمع به بالقرب من قنغرلان، ثم عاد إلی بیوته.

(أبو الفداء ۵: ۳۰۸).

و فی تقویم البلدان لأبی الفداء (ص ۲۸۷) عانهٔ بلدهٔ صغیرهٔ علی جزیرهٔ فی وسط الفرات.

و یقول الحاج خلیفهٔ (فذلکهٔ تواریخ) أن فی سنهٔ ۱۶۱۶ م کان أمیر عانهٔ و حدیثهٔ أحمد أبا ریش.

و فی ۱۶۲۹ م جاء الأب فیلیب الکرملی بعد مسیرهٔ مرحلتین من الطیهٔ إلی الربیهٔ (الرحبهٔ) علی نشز قریب من الفرات. بعد أن سار قلیلا وجد جزرا صغیرهٔ قرب عانهٔ. و یقال إن هذه البلدهٔ کانت أکبر بلدان البادیهٔ. و ظلت مشهورهٔ حتی خربها الفرس قبل ذلک بسنوات قلائل. و کانت تمتد علی ضفتی الفرات مسافهٔ میل عند قاعدهٔ جبل کان یفصلها عنه سور. و کان فی جزیرهٔ فی النهر قلعهٔ تصلها التیران المصوبهٔ من الجبال المحیطهٔ بها. و کانت عانهٔ فی زمنه نصفها خرب، و یسکنها العرب و الیهود فقط.

رحلهٔ الفرنسی تافرنیهٔ إلی العراق/ تعریب کورکیس عواد - بشیر فرنسیس، ص: ۱۲۹

و قد زارها تافرنییه فی أواسط القرن السابع عشر و وصفها (کما مرّ بنا).

و یروی دلاقاله فی رحلته، أن عانهٔ تقوم علی ضفتی الفرات الذی یعبر بالقوارب و لأهل عانهٔ عدد کبیر منها. و فی کل جانب شارع واحد یزید طوله علی خمسهٔ أمیال. و معظم الأکواخ مشیدهٔ بالطین و لکنها مریحهٔ و لطیفهٔ. و لکل بیت بستان فیه الأشجار و النخیل و البرتقال و التین و الزیتون و الرمان و ما إلیها.

و فی النهر عدد من الجزر تنمو فیها الأشجار المثمرهٔ أیضا. و فی الجزیرهٔ الوسطی قلعهٔ. أما البلدهٔ فلا یحیط بها سور و لکن الجروف القائمهٔ الانحدار التی تسدها البساتین من الخلف تترک من نهایتیها ممرا ضیقا بمحاذاهٔ النهر و کانت الجروف قائمهٔ الانحدار بحیث یصعب الدخول إلی المدینهٔ منها.

و کان أمیر البلدهٔ و کل البادیهٔ الأمیر فیاض(Feiad) و کان له بیت جمیل هناک، و لقبه أبو ریش. و مع أن بعض سکان عانهٔ یشهدون أنهم مسلمون، إلا أنهم یعتنقون عقیدهٔ مختلفهٔ إذ إنهم ینسبون لمذهب باطنی.

و کان الأمیر فیاض أبو ریش من قبیلهٔ الموالی التی تسیطر علی الضفهٔ الیمنی للفرات، من تدمر إلی الکوفهٔ.

و فی منتصف القرن السابع عشر کانت عانهٔ و بیره جک تولفان قسما من عمل الرقهٔ أما بالس فتلحق بحلب.

و یقول الحاج خلیفهٔ فی (جهاتما) إن عانهٔ البلدهٔ القائمهٔ فی الجزیرهٔ، تقع فوق هیت و الحدیثهٔ علی حدود ایالهٔ بغداد. و یقال إنها البلدهٔ الوحیدهٔ فی هذه المنطقهٔ التی ینمو فیها الزیتون و لها صیت بعید بکونها مولد کثیر من العلماء و الأولیاء و الموسیقیین و

الطبيعيين. و كان يسكنها سابقا عدد وافر من النصيرية، و لكن لم يبق منهم فى القرن السابع عشر غير عدد قليل.
و يقول أوليا جلبى إن عانة من أعمال الرقة.
رحلة الفرنسى تافرنيية إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۱۳۰

الملحق رقم (۲۸) (راجع الصفحة ۹۱، الحاشية ۳)

هى «رحبة مالك بن طوق» حسبما يؤخذ من سياق الرحلة. قال ياقوت فى وصفها (معجم البلدان ۲: ۷۶۴): «رحبة مالك بن طوق: بينها و بين دمشق ثمانية أيام، و من حلب خمسة أيام، و إلى بغداد، على شاطىء الفرات أسفل من قرقيسيا. قال البلاذرى: لم يكن لها أثر قديم، إنما أحدثها مالك بن طوق ابن عتاب التغلبى فى خلافة المأمون».
و قد ذكر ابن الأثير (الكامل ۷: ۱۸۸ طبعة ترنبرغ) أن مالكا هذا توفى سنة ۲۶۰ ه (۸۷۳- ۸۷۴ م).
و ذكر موسيل فى كتابه:
(The Middle Euphrates. New York, ۱۹۲۷: P. ۴۴۳)
«أن رحبة مالك أصابها الزلزال فدمرها سنة ۱۱۵۷ م. إلا أنه فى سنة ۱۳۲۱ م، أمر شير كوه بن محمد صاحب حمص، بإعادة بنائها. و كانت فى زمنه مركزا كبيرا للقوافل بين سورية و العراق. أما مشهد الرحبة الذى ذكره تافرنيه، فهو فى الواقع البقعة المحصنة المسماة «المشهد» أو «مشهد على»، و تبعد ۹ كيلو مترات عن جنوب غربى قلعة الرحبة «قرب الميادين».
(انتهت الملاحق التى وضعها المترجمان)
رحلة الفرنسى تافرنيية إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۱۳۱

الفهارس

۱- فهرس الأعلام

أبجر الملك ۳۳، ۹۹
أبو ريش (أحمد) ۱۲۸، ۱۲۹
أبو شجاع ۱۲۶
الإدريسى ۱۲۷
الإسكندر الكبير ۴۷، ۵۱، ۵۳، ۹۱
إسماعيل (الشاه) ۹۸
إسماعيل باشا البهديناني ۱۲۲
أفراسياب ۷۱، ۱۱۶
أفرام (مار) ۳۴
إمام قولى خان ۷۱
أنستاس مارى الكرملى (الأب) ۲۱، ۱۱۷
أوليا چلبى ۱۲۹
إيليا أسقف البصرة ۱۱۷
اينزورث الرحالة ۱۰۶
بدر الدين لؤلؤ ۱۲۱
برعيثا ۱۲۴
بيرام بك ۱۲۳
الحسن بن عمر بن خطاب التغلبى ۸۵
حسين باشا ۷۱، ۱۱۶
خواجه إبراهيم ۱۲۲
الدجيلى (كاظم) ۱۰۹
ديلافاليه (الرحالة) ۳۷، ۱۰۰، ۱۲۹
دلال (المطران جرجس) ۱۰۰
الدورى (الإمام محمد) ۱۰۸
راولف (الرحالة) ۱۰۴
رسول بك ۱۲۲
رولنصن (جورج) ۱۱۵
ريج ۱۰۷
زين الدين على بن بكتكين ۱۲۱
زينفون ۱۰۶
سركيس (يعقوب) ۶۲، ۷۱، ۷۵، ۹۸
سعود بن عبد العزيز ۱۲۹
سفر (فؤاد) ۱۰۱
سنان بن عليان ۱۲۵
السنيور ميخائيل ۵۹، ۶۰
سيدى خان بك ۱۲۳
سيف الدولة صدقة بن مزيد ۱۲۶
صائغيان (دير نرسيس) ۶۲
صفى قولى خان ۵۹
طه باقر ۱۱۱، ۱۱۲، ۱۱۳، ۱۲۰
عباس الكبير (الشاه) ۲۰، ۴۷، ۷۱، ۹۷
عبد الباقى باشا ۱۲۲
عبد الجبار عبد الله ۷۴- ۸۱، ۸۳، ۱۱۸
على باشا ۷۱، ۱۱۶، ۱۱۷

رحلة الفرنسى تافرنيية إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۱۳۲

على قولى خان ۲۷
عماد الدولة الديلمى ۱۲۱
عماد الدين زنكى ۱۲۱، ۱۲۲، ۱۲۷
عواد (كوركيس) ۱۰۷
عواد (ميخائيل) ۹۴
فياض (الأمير) ۱۲۹
قباذ بك ۱۲۳
قطب الدين مودود ۱۰۱
كوريكالزو ۱۱۳
مجاهد الدين ۱۰۳
مدحت باشا ۱۱۲
مراد (السلطان) ۳۸، ۶۳، ۶۵، ۷۱
مرجان (أمين الدين) ۱۱۴
مصطفى جواد ۷۴
معانى جويريدة ۳۷، ۱۰۰

محمد باشا أمير راوندوز ۱۲۲
محمد باشا اينجه بيرقدار ۱۲۲
موسيل ۱۲۳، ۱۲۶، ۱۳۰
نجم الدين أيوب ۱۲۷
يعقوب (مطران نصيبين) ۳۹
رحلة الفرنسي تافرنيهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۱۳۳

۲- فهرس الأمكنة و البقاع

آشب ۱۲۰، ۱۲۱
آلوس ۱۲۷
آلوسة ۱۲۷
أبو مارية ۱۰۲
الأحساء ۹۸
أدسا ۳۳، ۳۴، ۹۹
إربل ۴۷، ۱۶۲
الأردن (انظر: نهر الأردن)
أزمير ۱۳، ۱۵، ۷۲
استانبول ۱۱۶، ۱۲۲
الإسكندرونة ۲۹، ۵۱، ۹۳
أسكي كلك ۴۷
أسكي موصل ۱۰۱، ۱۰۲
أشور ۲۹، ۴۱، ۴۵، ۴۹، ۵۴، ۱۰۰
أصفهان ۱۳، ۲۸، ۲۹، ۴۳، ۴۵، ۸۷، ۸۹، ۹۲، ۹۳
أقريطش ۹۹
آلتون صو ۴۸، ۵۵
أمات ۱۲۰
امام دور (انظر: الدور)
أنات (أناتا، أناثا) ۱۲۳، ۱۲۴
الأنبار ۱۲۵، ۱۲۸
أنطاكية ۵۱
أور ۱۰۰
أورفا ۳۲، ۳۳، ۳۴، ۳۵، ۸۵، ۹۹
إيران ۲۰، ۲۶، ۲۷، ۴۸، ۷۴، ۱۰۰
الباب الأسود (بغداد) ۶۵
باب البيض (الموصل) ۱۰۵
الباب الجديد (الموصل) ۱۰۵
باب الجسر (الموصل) ۱۰۵
باب السراى (الموصل) ۱۰۵
باب سنجار (الموصل) ۱۰۵
الباب الشرقى (بغداد) ۶۵، ۱۱۲
باب الشط (بغداد) ۶۵
الباب الصغير (الموصل) ۱۰۵
باب الطلسم (بغداد) ۶۵، ۱۱۲
باب الطوب (الموصل) ۱۰۵
باب العراق (الموصل) ۱۰۵
الباب العمادى (الموصل) ۱۰۵
باب الغربة (بغداد) ۱۱۴
باب القلعة (الموصل) ۱۰۵
باب لكش (الموصل) ۱۰۵
باب المعظم (بغداد) ۵۸، ۶۵، ۱۱۲
باب الوباء (الموصل) ۱۰۵
رحلة الفرنسي تافرنيهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۱۳۴
الباب الوسطانى (بغداد) ۶۵، ۱۱۳
بابل ۵۱، ۵۳، ۵۷، ۶۷، ۷۴، ۹۱، ۱۰۰
باش طابية (الموصل) ۱۰۶
الباطنة ۷۴
بالس ۱۲۹
البحرة ۱۲۶
برج بابل ۶۳، ۶۴، ۱۱۳
برس بوليس ۱۰۰
البصرة ۱۳، ۱۵، ۱۹، ۲۴، ۲۵، ۲۶، ۲۷، ۶۷- ۷۵، ۱۱۵، ۱۱۶، ۱۱۷، ۱۲۶، ۱۲۷
البصرة القديمة ۲۴، ۱۱۶
بعليك ۱۲۵
بغداد ۱۳، ۱۷، ۲۰، ۲۴، ۳۲، ۳۸، ۴۷، ۴۸، ۵۱، ۵۳، ۵۴، ۵۶- ۶۹، ۷۱، ۷۲، ۸۹- ۹۳، ۱۰۰، ۱۰۷، ۱۰۸- ۱۱۳، ۱۱۸، ۱۲۶- ۱۳۰
بغداد (بغدادو، بغداذ، بغدان) ۱۱۱، ۱۱۲
بكدادا (بكدادو، بكدادى) ۱۱۲
بكرى سعدة ۱۱۵
بلاد العرب ۲۱، ۶۸، ۶۹، ۷۴
بلاد العرب السعيدة ۱۶، ۲۳، ۸۹
بلارى ۱۱۲
بلد ۱۰۱
بلط ۱۰۱
بندر ريک ۲۷
بهرز (نهر) ۴۵
بوشير ۲۷
بوهرز ۹۰، ۹۲
بيت الخليفة (سامراء) ۱۱۰
البيرة ۳۰، ۳۱، ۸۵
بيره چک ۳۰، ۳۱، ۱۲۹

تبريز ۱۳، ۲۰، ۳۲، ۵۵، ۸۵، ۸۷
تخت جمشيد ۱۰۰
تدمر ۱۲۸، ۱۲۹
تكريت ۵۵، ۵۶، ۱۰۸
تل باشر ۳۰، ۱۲۸
تل توبة ۱۰۵
تل خابور ۱۲۷
تل عمر ۶۷
تل النبى يونس ۱۰۵
جامع أبى دلف ۱۱۰
جامع البو حيدر (الدور) ۱۰۸، ۱۰۹ رحلة الفرنسى تافرنييهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس ؛ ص۱۳۴
مع خضر إلياس (بغداد) ۶۲
جامع السادة (الدور) ۱۰۹
جامع سامراء ۵۶، ۱۱۰
جامع الكوفة ۲۰
جبل ستام ۱۱۵
جزيرة ابن عمر ۸۵
جسر بغداد ۵۸، ۵۹
جسر الموصل ۴۲، ۴۳، ۱۰۴
جفر المالح ۱۲۶
جهينة ۱۰۷
جولمرك ۸۶
جيلان ۸۷
الحدباء ۱۰۴
الحديثة ۱۲۵، ۱۲۶- ۱۲۹
حديثة النورة ۱۲۷
رحلة الفرنسى تافرنييهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۱۳۵
حلب ۱۵- ۱۷، ۲۱، ۲۸- ۳۰، ۳۲، ۴۵، ۵۱، ۵۵، ۷۲، ۸۵، ۸۷، ۸۹، ۹۲- ۹۶، ۱۲۵، ۱۲۹، ۱۳۰
حمام على (العليل) ۵۳، ۱۰۶
حمص ۱۲۷، ۱۳۰
حوش الباشا (البصرة) ۷۱
الحويزة ۷۴
خان العطشان ۹۷
خانات ۱۶۴
خانقين ۷، ۹۰، ۹۲
خلف آباد ۷۴
الخندق ۹۹
خوانسار ۸۹، ۹۳
خودادو ۱۱۲
دار السلام ۷، ۵۸، ۱۱۱
الدالية ۱۲۵
دجلة ۳۲، ۴۱- ۴۵، ۴۷- ۴۹، ۵۱- ۵۹، ۶۲، ۶۳، ۶۷، ۶۸، ۷۲، ۸۵، ۱۰۱- ۱۱۰
الدجة (الدكة) ۷۵
دسپول ۷۴
دمشق ۱۵، ۷۲، ۹۲، ۹۶، ۱۰۴، ۱۳۰
الدور ۵۶، ۱۰۹
الدورق ۷۵
دور كوريكالزو ۱۱۳
دياپا ۱۰۶
ديار بكر ۱۳، ۳۲، ۳۵، ۷۲، ۸۵، ۹۲، ۴۳، ۱۰۶
الدير الأعلى (الموصل) ۴۳، ۱۰۶
دير الزور ۱۲۹
دير الكبوشيين (بغداد) ۶۰
دير مار جبرائيل (گبريل) ۱۰۵
دير مار سرجيس ۱۲۵
دير يونان ۱۰۵
دير يونس ۱۰۵
دير يدوتيس ۱۱۵
ذو الكفل ۶۳
رامهرمز (رامز) ۷۴
راوندوز ۱۲۲
الرحبة ۹۱، ۹۲، ۹۵، ۱۲۵، ۱۲۸، ۱۳۰
الرقة ۱۲۷، ۱۲۸، ۱۲۹
الرملة ۱۲۵
الزها ۹۹
الزاب ۵۴، ۱۰۶
الزاب الصغير (الأسفل) ۵۴، ۵۵
الزاب الكبير (الأعلى) ۴۶، ۱۰۶
زاباتس ۱۰۶
الزبير ۱۱۵
زراب (زرب) ۱۰۶
الزكية ۷۵
الزوراء ۱۱۱
سامراء ۵۶، ۱۰۸، ۱۱۰، ۱۱۴
سد العوايهٔ (انظر العوايهٔ)
سلماس ۸۶ ۸۷
سلوقية ۶۷
سنا ۹۰، ۹۳
سنجار ۱۲۷

سوخي ۱۲۳، ۱۲۴
رحلة الفرنسي تافرنية إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۱۳۶
سور ۱۲۳
سوق الميدان (الموصل) ۴۲
شط العرب ۲۷، ۷۰
الشطرة ۶۸
شهربان ۹۰، ۹۲
شهرزور ۴۷، ۴۸
شوشتر ۷۴، ۸۰
شيراز ۲۷، ۲۸، ۷۱
صوقايي (بغداد) ۶۵
صيداء ۱۵
طار الحيان ۱۲۶
طار الصيهد ۱۲۶
طريدون ۶۹، ۱۱۵، ۱۱۶
طهران ۸۷
طوقات ۱۰، ۳۵
الطيبة ۹۱، ۹۲، ۹۶، ۱۲۸
عانات (عاناث) ۱۲۷
عانة ۱۳، ۱۷، ۸۹، ۹۱- ۹۵، ۱۲۳، ۱۲۹
العراق ۳، ۱۷، ۴۷، ۵۱، ۵۴، ۵۷- ۷۴، ۹۲، ۱۰۰، ۱۰۵، ۱۱۳، ۱۱۴
العزير ۶۸
العظيم ۷، ۵۷
عقد الكنائس (بغداد) ۶۲
عقرقوف ۶۳، ۱۱۳، ۱۱۴
عكا ۱۲۷
العمادية ۸۶، ۱۲۰، ۱۲۱، ۱۲۲، ۱۲۳
العمارة ۶۸
العوايا ۱۰۷
عين زهرة ۱۰۷
عين فصوصة ۱۰۷
العين الكبيرة ۱۰۷
غزة ۱۲۷
الفرات ۱۶، ۱۹، ۲۰، ۲۱، ۲۳، ۲۷، ۳۰- ۳۳، ۴۲، ۶۳، ۶۸، ۶۹، ۷۰، ۸۵، ۸۹، ۹۱، ۹۷، ۱۱۵، ۱۲۴، ۱۲۵، ۱۲۸، ۱۲۹، ۱۳۰
فلسطين ۱۰، ۷۴
قالقوط ۱۶، ۷۲، ۹۴، ۹۵
القاهرة ۱۵، ۷۲
قبة الست زبيدة ۱۰۸
قبر عزرا الكاتب ۶۸
قرقيسيا ۱۲۴، ۱۲۵، ۱۲۷، ۱۳۰
القرنة ۶۸- ۷۰
قره ۳۶
قرة سراى (تركية) ۳۷، ۳۸
قرة قايي (بغداد) ۶۵
قزلرباط ۷، ۹۰، ۹۲
القسطنطينية ۱۰، ۱۱، ۱۳، ۱۵، ۲۴، ۳۲، ۶۰، ۶۹، ۷۱، ۷۲
قصر شيرين ۹۰، ۹۲
القطيف ۹۸
قلعة بغداد ۵۹، ۶۵
قلعة حمص ۱۲۷، ۱۲۸
قلعة طارون ۱۲۳
قلعة الموصل ۴۱
قم ۹۰، ۹۳
قندهار ۲۰
رحلة الفرنسي تافرنية إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۱۳۷
قنطرة اسكي كلك ۴۷
قنطرة اسكي موصل ۱۰۱
قوش حصار ۳۶، ۳۷، ۳۹
القيارة ۵۵، ۱۰۷، ۱۰۸
الكاريان ۷۵
كازرون ۲۷
كاظمة ۱۲۶، ۱۲۷
كربلاء ۹۷
كردستان ۴۱، ۴۵، ۱۲۲
الكرك ۱۲۷
كريت (كاندى) ۲۹، ۵۱، ۵۹، ۹۹
الكسك ۱۰۲
كسك كوپرى ۱۰۲
كشكى زرد ۲۸
الكفل ۶۳
كلدية ۲۶، ۵۴، ۵۷، ۶۷، ۶۸، ۷۴
كمار ۷۵
كنكور ۱۳، ۸۹، ۹۰، ۹۳
كنيسة انتقال العذراء (بغداد) ۶۲
كنيسة الثالوث الأقدس (بغداد) ۶۲
كنيسة خضر الياس (بغداد) ۶۲
كنيسة الدونمة (بغداد) ۶۲
كنيسة السيدة العذراء (بغداد) ۶۲
كنيسة الكبوشيين (بغداد) ۶۲

كنيسة مار توما (البصرة) ۱۱۷
كنيسة مار ميخائيل (البصرة) ۱۱۷
كنيسة مار هرمزد (البصرة) ۱۱۷
كنيسة مسكنتا (بغداد) ۶۲
كوت الإمارة ۶۸
الكوفة ۱۹، ۲۰، ۹۸، ۱۲۹
كوكاميلا ۴۷
لوزا ۷۵
ليكس ۱۰۶
ماردين ۳۶، ۳۷، ۱۰۰
المارستان المجاهدى (الموصل) ۱۰۳
مازندران ۸۷
ماهى دشت ۹۰، ۹۳
مائين ۲۸
متحف الأسلحة القديمة (بغداد) ۱۱۳
المتحف العراقى ۱۱۱
المجر (العراق) ۶۸
محلة البتاويين (بغداد) ۶۲
محلة الميدان (بغداد) ۶۲
محلة الميدان (الموصل) ۴۲
محلة النصارى (بغداد) ۶۲
المدرسة المرجانية ۱۱۴
مرقد النبى حزقيال ۶۳
مسجد الشويخات (الدور) ۱۰۹
مسجد المواشط (الدور) ۱۰۹
مسجد الكوفة ۹۸
مسجد النبى يونس ۴۳، ۴۵، ۱۰۵
مسقط ۷۰
مشهد ۱۹
مشهد على ۱۹، ۱۳۰
المعقل ۷۵
مغداد (مغداذ مغدان) ۱۱۱
مكة ۲۳، ۶۰
الملوية (سامراء) ۵۶، ۱۰۹، ۱۰۰
رحلة الفرنسى تافرنيية إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۱۳۸
المناوى ۷۴
المنصورى ۶۸
الموصل ۱۳، ۱۹، ۳۲، ۴۰، ۴۱، ۴۲، ۴۳، ۵۱ ۵۳، ۷۲، ۸۵، ۸۶ ۱۰۰، ۱۰۳- ۱۰۸، ۱۱۷، ۱۱۹- ۱۲۲
الموقدة (الموجدة) ۹۷
الميادين ۱۳۰
ميسا ۵۵
النجف ۱۹، ۲۰، ۹۷، ۹۸
نصيبين ۳۴، ۳۹، ۴۰، ۱۰۲
نقش رستم ۱۰۰
نمرود ۶۳، ۱۲۰
نهاوند ۹۰، ۹۳
نهر آبا ۱۱۵
نهر الأردن ۷۴، ۸۰، ۸۳
نهر الناجية ۹۸
نهر الذهب ۴۸، ۵۵
نهر شارى ۱۱۲
نهر الشاه ۹۸
نهر عيسى ۱۱۴
نهر المكرية ۹۸
نهر الملك ۱۱۲
نينوى ۴۱، ۴۲، ۴۵، ۴۸، ۵۱، ۵۳، ۱۰۱، ۱۱۲
هراة ۸۷
هرمز ۲۶، ۷۱
هرون آباد ۹۰، ۹۳
همذان ۱۳، ۹۰
هيت ۱۲۵- ۱۲۹
يزد ۲۸
يزدى خست ۲۸
اليمن ۱۶
رحلة الفرنسى تافرنيية إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۱۳۹

۳- فهرس الشعوب و القبائل و الأديان

الأغسطينيون ۲۵، ۷۳
الصابئة ۶۷، ۷۳، ۷۴، ۸۳، ۱۱۷، ۱۱۸
الكبوشيون ۳۰، ۳۶، ۳۹، ۴۱، ۴۳
الكرمليون ۲۵، ۷۳
النساطرة ۳۷، ۳۹، ۴۱، ۶۲، ۷۳، ۱۱۷
النصيرية ۱۲۹
الهكارية ۱۲۰، ۱۲۱
رحلة الفرنسى تافرنيية إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۱۴۱

۴- فهرس المراجع

آثار البلاد للقزوينى ۱۰۳، ۱۰۴، ۱۲۸
الآثار الخطية للآب رباط ۲۵

أحسن التقاسيم للمقدسی ۱۰۳، ۱۲۵
الأخبار الأسبوعية (مجلة) ۱۰۷
الاعتدال (مجلة) ۹۸
بغداد فی عهد الخلافة العباسية ۶۸
تاريخ مساجد بغداد للآلوسی ۶۲
تقويم البلدان لأبی الفداء ۱۰۴، ۱۲۱، ۱۲۸
تقويم قديم للكنيسة الكلدانية النسطورية ۱۱۷
جغرافية العراق الحديثة للسعدی ۱۱۸
حياة الحيوان الكبری الدميری ۳۴
الخراج لأبی يوسف ۱۲۴
الخراج لقدامة ۱۲۵
خلاصة تاريخ الكرد و كردستان لمحمد أمين زكی ۱۲۲
دائرة المعارف الإسلامية ۵۵، ۵۶، ۹۸، ۱۲۳
دليل المصايف العراقية ليونان عبر اليونان ۸۶
الديارات للشابشتی ۱۰۶، ۱۲۵
ذخيرة الأذهان لنصری ۲۵
الرابطة (مجلة) ۹۴
رحلة ابن بطوطة ۱۶، ۷۴، ۱۰۴، ۱۰۵، ۱۰۸، ۱۱۶
رحلة ابن جبير ۱۰۳، ۱۰۵، ۱۰۸
رحلة إلى الهند للمطران نوری ۱۱۱
زاد المسافر للكعبی ۱۱۶
سامراء لمديرية الآثار القديمة ۱۱۰
شرفنامة للبدليسی ۱۲۲
شفاء الغليل للخفاجی ۳۸
الصابئة للحسنی ۱۱۸
صبح الأعشی للقلقشندی ۲۱
صورة الأرض لابن حوقل ۱۰۲
فتوح البلدان للبلاذری ۷۴، ۱۳۰
الكامل لابن الأثير ۱۰۵، ۱۲۱، ۱۳۰
لغة العرب (مجلة) ۶۲، ۹۸، ۱۰۹، ۱۱۱
ماضی النجف و حاضرها لمحبوبة ۹۷، ۹۸
المسالک و الممالک لابن خرداذبه ۱۲۵
المشرق (مجلة) ۱۱۱، ۱۱۷
معجم البلدان لياقوت الحموی ۳۰، ۷۴، ۸۵، ۱۰۱، ۱۰۳، ۱۰۵، ۱۰۶، ۱۰۷، ۱۱۰، ۱۱۱، ۱۲۰، ۱۳۰
رحلة الفرنسی تافرنيهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۱۴۲
معجم الحيوان لأمين المعلوف ۳۴
معجم ما استعجم للبكری ۱۲۵
المعرب للجواليقی ۱۱۱
مفصل جغرافية العراق لطه الهاشمی ۱۱۸
مناقب بغداد لابن الجوزی ۱۱۱
مندالی لعبادة ۱۱۸
نزهة القلوب لحمد الله ۱۲۱
نشرة الأحد (مجلة) ۱۰۰
النقود العربية للكرملی ۲۱
رحلة الفرنسی تافرنيهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۱۴۳

فهرس المحتويات

المقدمة ۵
جان بابتيست تافرنيه (۱۶۰۵- ۱۶۸۹ م) ۹
الفصل الثالث (من الكتاب الثانی من الرحلة)
الكلام على الطرق العديدة من حلب إلى أصفهان
بوجه عام و طريق البادية بوجه خاص ۱۳
الفصل الرابع (من الكتاب الثانی من الرحلة)
الطريق بين حلب و أصفهان، عبر ما بين النهرين و بلاد آشور، و هو الطريق الذی سلكه فی رحلتی الثالثة إلى الهند و جزرها ۲۹
الفصل الخامس (من الكتاب الثانی من الرحلة)
نسخة الكلام على الطريق من نينوی إلى أصفهان ۴۵
الفصل السادس (من الكتاب الثانی من الرحلة) ۵۱
الفصل السابع (من الكتاب الثانی من الرحلة)
مواصلة الطريق الذی سلكه المؤلف فی رحلته الرابعة فی آسية، و خاصة سفره فی دجلة من نينوی إلى بابل [بغداد] ۵۳
الفصل الثامن
إكمال الطريق من بغداد إلى البصرة
و الكلام علی ديانة الصابئة و هم نصاری يوحنا ۶۷
الفصل الرابع (من الكتاب الثالث من الرحلة)
الطريق الآخر من حلب إلى توريز [تبريز] و هو المار بالجزيرة
و غيرها من البلدان ۸۵
رحلة الفرنسی تافرنيهٔ إلى العراق/ تعريب كوركيس عواد - بشير فرنسيس، ص: ۱۴۴
الفصل الخامس (من الكتاب الثالث من الرحلة)
الطريق من حلب إلى أصفهان، مارا بالبادية الصغيرة و كنكور ۸۹
الملاحق ۹۷
۱- فهرس الأعلام ۱۳۱
۲- فهرس الأمكنة و البقاع ۱۳۳
۳- فهرس الشعوب و القبائل و الأديان ۱۳۹
۴- فهرس المراجع ۱۴۱

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).
قالَ الإمامُ علیُ بْنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللَّهُ عَبداً أَحْيا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (يَنابِيعُ البِحار – فی تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج ۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة "الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى – "رَحمَةُ الله – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قد اشتهَرَ بشَغفِه بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ الله علَيهم) و لاسيّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحب الزّمان (عَجّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسّسةً و طريقةً لم يَنطفِئ مِصباحُها، بل تُتَبّع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة "للتحرّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عنايةِ سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهمُ السّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحرّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

- منها العدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المرافق و التسهيلات– فى آكناف البلد - و نشر الثّقافة الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم - مِن جهةٍ أخرَى.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عناوِنِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القراءة

ب) إنتاج مئات أجهزةٍ تحقيقيّةٍ و مكتبيّة، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِع أُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشاركين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجم المتزايد و المتّسِع للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجّى هذا المركزُ صاحبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزايداً لإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹